الباب الثانـي

نشأة الفرق الإسلامية وظهور الخوارج

توطئة

الإسلام دين الوحدة الإجتماع ويأمر اتباعه بالإجتماع على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, ولكن الخلاف أمر لابد منه. وقد كانت الأمة

الإسلامية أمة واحدة مجتمعة في العهد النبوي وعهد خلفائه الراشدين, ولكن ظهر الخلاف والتفرق وظهرت النظريات المخالفة لكتاب الله وإجماع الصحابة في أواخر عهد الخلفاء الراشدين , حيث ظهرت بدعة الخوارج والتشيع.

وفي هذا الباب سوف نعرض عدة مواضع ونحللها وفقا لنظرية داهل التحليلة وسيكون الناقش حول المباحث التالية :

ففي الفصل الأول:

نشأة الفرق الإسلامية .

ظهور الخلاف وأسباب نشأة الفرق الإسلامية .

أسباب ظهور الفرق .

أهم الفرق الإسلامية التي ظهرت في العصور الإسلامية .

المشاكل والمصائب التي نتجت عن تفرق الأمة الإسلامية .

أما في الفصل الثاني فيكون النقاش حول .

بداية الخوارج ونشأتها .

الأحاديث الواردة في خروج الخوارج .

بداية نشأة الخوارج .

عقيدة الخوارج ومبادئهم .

فرق الخوارج ومبادئ كل فرقة .

أسباب اختلاف الخوارج فيما بينهم .

الفصل الأول :

نشأة الفرق الإسلامية

توطئة

لم يحدث افتراق بين الأمة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم, ولا في عهد أبي بكر وعمر وعثمان, وإنما الذي حدث في الوقت بين الصحابة كان اختلاف في بعض المسائل كقصة اختيار أبي بكر في سقيفة بني ساعدة, وكحروب الردة. وكلها كانت خلافات تنتهي بلا افتراق. وإنما كان أول افتراق وقع بين المسلمين الذي حدث بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

وفي هذا الفصل سيكون النقاش حول المباحث التالية:

ـ ظهور الخلافات واسباب نشأة الفرق الإسلامية.
ـ أسباب ظهور الفرق.
ـ اهم الفرق الإسلامية التي ظهرت في العصور الإسلامية.
ـ المشاكل والمصائب التي نتجت عن تفرق الأمة.

نشأة الفرق الإسلامية

ظهور الخلاف وأسباب نشأة الفرق الإسلامية:

إن الإسلام دين التوحيد، فأول ما يدعوا إليه الإسلام هو توحيد الخالق وإفراده بالعبادة ، ونبذ الشرك والابتعاد عن كل ما له صلة بالشرك ولقد اهتم الإسلام بعد توحيد الله سبحانه وتعالى إلى بناء الأمة على أساس الوحدة والاجتماع على كتاب الله ، ونبذ الخلاف ولقد نهى الإسلام أشد النهي عن الخلاف والفرقة، وقد بينا ذلك في الفصل الأول من الباب الأول ولكن مما ينبغي أن يفهم أن اختلاف الآراء في بعض المسائل التي لها تعلق بالحياة مما لا بد له، لأن أراء الناس في مصالح الحياة تختلف ولكن هذا لا يعد افتراق . وكذلك هناك بعض المسائل الدينية التي يسع فيها الخلاف كالمسائل الاجتهادية التي ليس عليها نصوص قطعية الدلالة أو إجماع علماء الأمة، إذاً فهذا النوع من الخلاف ليس من مسائل الافتراق.
يقول الدكتور ناصر العقل: "اختلف الصحابة رضي الله عنهم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم في مسائل مهمة وأمور خطيرة, ولكن اختلافهم كان ينتهي إما بالإجماع أو العمل على ما يترجح, أو يفصل الأمر الخليفة أو أهل الحل والعقد, أو يبقى الخلاف سائغاً في ذلك كله لم يصل الأمر إلى حد

التنازع في الدين, ولا الافتراق والخروج على الجماعة, ولم يبغ بعضهم على بعض[108].

ولقد ظهر الخلاف أول ما ظهر بين الصحابة في مسألة الإمام أي من يلي إمامة الأمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن هذا الخلاف لم يبلغ إلى درجة الافتراق وإنما حسم بسرعة واجتمع الصحابة كلهم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان في ذلك خير وبركة، واستمر الحال بدون خلاف في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكذلك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يكن هناك خلاف، وكان الناس في عهده مشغولين بالجهاد وبالفتوحات الإسلامية، وتبليغ الرسالة إلى الناس، أضف إلى ذلك أن عمر رضي الله عنه كان عبقرياً فذاً، وقد منّ الله عليه بمزايا عدة قل أن توجد في أحد جاء بعده.

وبعد وفاة عمر رضي الله عنه تولى الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد مرت السنوات الأولى من خلافته بدون خلاف، ولكن في السنوات الأخيرة بدأت الخلافات تظهر، وقد نقم عليه بعض الأشياء التي ما كان ينبغي أن يصل الخلاف إلى المبلغ الذي وصل . يقول الإمام أبو الحسن الأشعري : "وكان الاختلاف بعد الرسول صلى الله عليه وسلم في الإمامة ولم يحدث خلاف غيره في حياة أبي بكر رضي الله عنه وأيام عمر إلى أن ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه وأنكر قوم عليه في آخر أيامه فعالاً كانوا فيما نقموا عليه من ذلك مخطئين وعن سنن المحجة خارجين، فصار ما أنكروه عليه، اختلافاً إلى اليوم، ثم قتل رضوان الله عليه وكانوا في قتله مختلفين، فأما أهل السنة والاستقامة فإنهم قالوا كان رضوان الله عليه مصيباً في أفعاله قتله قاتلوه ظلماً وعدواناً، وقال قائلون خلاف ذلك، وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم "[109]

ويقول البغدادي(المتوفى429هـ): "كان المسلمون عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه غير من أظهر وفاقاً وأضمر نفاقاً[110]" . ثم يذكر الخلافات التي جرت بين الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كاختلافهم في موته، وموضع دفنه،

---

[108] -العقل- ناصر عبد الكريم-دراسات في الاهواء والفرق والبدع وموق السلف منها-داركنوز أشبيليا- الرياض- ط2-جـ1-ص116

[109] - الأشعري – أبو الحسن علي بن اسماعيل – مقالات الإسلاميين – المكتبة العصرية – صيدا بيروت – ط 1995-ص49

[110] - البغدادي – عبدالقاهر بن طاهر – الفرق بين الفرق – دار الكتب العلمية – بيروت – ط3 – 2005م ص12

والاختلاف فيمن يلي الإمامة بعده والاختلاف في قتال ما نع الزكاة، وبعد ذكر هذه الأشياء وغيرها يقول : "وكانوا على هذه الجملة في أيام أبي بكر وعمر وست سنين من خلافة عثمان ، ثم اختلفوا بعد ذلك في أمر عثمان لأشياء نقموها منه حتى قدم لأجلها ظالموه على قتله، ثم اختلفوا بعد قتله في قاتليه وخاذليه اختلافاً باقياً إلى يومنا هذا"[111]. على العموم ظهر الخلاف بعد ست سنوات من خلافة عثمان رضي الله عنه، وكان حول أمور سياسية تتعلق في تسيير الحكم، منها على سبيل المثال أن الخليفة عثمان كان شديد الحب لقرابته، وأنه آثرهم على من سواهم من المسلمين في تولي أمر المسلمين، فولى أقاربه على بعض الأقاليم، وأتهم كذلك بأنه استأثر ببعض أموال المسلمين، وأنه كان لينا في محاسبته لعماله على الأقاليم فلم يكن يأخذ بالشدة والحزم، إذا كانت الولاة من أقربائه بينما كان شديداً وحارساً وقاسياً على غير أقربائه هذه بعض التهم التي وجهت إلى الخليفة الراشدة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وهذا الأمر أي المعارضة بهذه التهم التي لا أساس لها في أكثرها كان أمراً متوقعاً، وذلك أن عمر رضي الله عنه كان خليفة فذة عجيبة ويذكر عن علي رضي الله عنه، أنه قال لعمر رضي الله عنه: لقد أتعبت من بعدك : فمهما أجتهد أي خليفة من الصعب أن يكون مثل عمر. وكان عثمان لينا في معاملته مع المخالفين والمخطئين وهذا اللين هو الذي أدى إلى قتله وإلا فالأسباب التي نقم المخالفون عليه لم تكن صحيحة يقول الدكتور أحمد محمد جلي : "وهذه التهم وأمثالها ما كان ينبغي إن صحت أن تقود إلى ما قادت إليه فتؤدي إلى الثورات والخروج وقتل الخليفة ونشر الفوضى في الدولة، علماً بأن هذه التهم جميعاً إما مطعون فيها أساساً أو في الطريقة التي يزعم بعض المؤرخين أنها وقعت بها"[112] . وحتى إن صحت فإنها كانت من اجتهاد الخليفة فله الحق أن يولى أمر المسلمين على من يرى أنه يصلح لذلك، ومما يدل على أن سماحة عثمان ولينه كان من الأسباب التي جرأ الخارجين عليه على قتله, قول عثمان في رده على ما نقموه منه حيث قال : "ألا فقد والله عبتم علي بما أقررتم به لإبن الخطاب، ولكنه وطئكم برجله، وضربكم بيده وقمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم، ولنت لكم كتفي، وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم علي"[113] .

---

[111] - البغدادي – عبدالقاهر بن طاهر – الفرق بين الفرق – دار الكتب العلمية – بيروت – ط3 – 2005م ص12-14 .

[112] - جلي – أحمد محمد أحمد – دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين – الخوارج والشعبة – مركز الملك الفيصل للبحوث والدراسات الإسلامية –الرياض- ط2- 1988- ص34.

[113] - ابن كثير – اسماعيل – البداية والنهاية – دار الفكر – ط3- 1998م – جـ5 –ص 253.

وقد اتخذ مثيروا الفتنة تلك الأسباب الواهية ذريعة على مهاجمة الخليفة وقتله، فقتل الخليفة الراشدة عثمان بن عفان رضي الله عنه مظلوماً، وبقتله بدأت فتنة الانشقاق والافتراق بين المسلمين كما قال عثمان نفسه: "والله لئن قتلتموني لاتتحابوا بعدي ، ولا تصلوا جميعاً أبداً، ولا تقاتلوا بعدي عدواً جميعاً أبداً"[114] . وقد صدق رضي الله عنه، من هنا طارت شرارة الفتنة وبدأ التصدع يزداد يوماً بعد يوم، ومع أن الأكثرية من المسلمين بايعوا عليا إلاّ أن معاوية بن أبي سفيان لم يقبل البيعة لعلي وبدأ يطالب بدم عثمان وبقتل قتلته لأنه قتل مظلوماً، وكذلك طالب بدم عثمان جماعة من الصحابة منهم أم المؤمنين عائشة، وطلحة بن عبيدالله, والزبير بن العوام، رضي الله عنهم أجمعين ، كل هؤلاء يطالبون بقتل قتلة عثمان رضي الله الله عنه.

فبدأت المواجهات الدامية بين المسلمين ، فوقعت الحروب بين الصحابة، بين جيش علي وبين جيش عائشة يوم الجمل، وكذلك وقعت واقعة الصفين بين علي ومعاوية. وكان علي يحاول أن يجمع شمل المسلمين أولاً ويطفأ شرارة الفتنة التي أوقدها الخارجون على عثمان ، فإذا هدأت الفوضي، وخضع الناس للإمام وخمدت نار الفتنة، فحينئذٍ يمكن أن يتبع على قتلة عثمان واحداً بعد واحد، ويقام عليهم حكم القصاص ، ولكن معاوية ومن كان على رأيه لم يقتنع بهذا الرأي، فكانت النتيجة الحرب والفتنة، ويبدو أن الإمام علي رضي الله عنه انتهج طريق الحزم في إعادة هؤلاء الصحابة إلى رشدهم وطريق الصواب، وكان الأولى به أن يأخذ نهج اللين والرفق، في معاملته مع هؤلاء المخالفين له، وخاصة مع معاوية ابن أبي سفيان ولو أنه أخذ نصيحة عبدالله بن عباس والمغيرة ابن شعبة لكان أبلغ في مراميه، حيث نصحوه على ترك ولاة الأقاليم على ما هم عليه، حتى إذا دخل الناس في البيعة غيّر من يريد تغيّيره[116] . ولكن الإمام علي رضي الله عنه أراد تعجيل الإصلاحات، ومن هنا بدأ معاوية المعارضة، ووقعت معركة صفين وحينما ظهر أن النصر يكون حليفاً لجيش علي وكادت كفة عسكره أن ترجح لجأ جيش معاوية إلى حيلة رفع المصاحف على الأسنة والدعوة إلى الإحتكام بكتاب الله وكانت تلك الحيلة من اقتراح عمرو بن عاص[117] .

من هنا بدأ جيش علي يتصدع حيث انخدع بهذه الحلية بعض جيشه، وكان

---

[114] - المصدر نفسه ص 267.

[116] - ابن كثير – اسماعيل- البداية والنهاية – دار الكتب العلمية- بيروت- ط2-2003م-جـ4-ص220.

[117] - انظر الطبري – محمد بن جرير – تاريخ الأمم والملوك_ بيروت – د.ط.ت-جـ5-ص65-66. و ابن الأثير- علي بن محمد الشيباني_ الكامل في التاريخ – دار الكتب العلمية- بيروت – ط2- 1998- جـ 3-ص192

علي رضي الله عنه حذر جيشه من الانخداع بهذه الحيلة، إلاّ أن بعض جيشه وخاصة القراء وهم الخوارج فيما بعد ، قالوا لا بد من قبول الهدنة، وأكره عليّ على قبول التحكيم، حيث قال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي، في عصابة من القراء يا علي أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان إنه غلبنا أن يعمل بكتاب الله فقتلناه ، والله لتفعلنّها أو لنفعلنها بك[118]". وبدأت الهدنة وأكره هؤلاء عليا على أن يكون مندوبه في قضية التحكيم والممثل له أبا موسى الأشعري رضي الله عنه رغم أن علياً كان يؤد أن يكون الممثل من جانبه هو عبدالله بن عباس, وفي ذلك يذكر الإمام الطبري(المتوفى310هـ):أن أهل الشام قالوا: فإنا قد اخترنا عمرو بن العاص, فقال الأشعث وأولئك النفر الذين صاروا خوارج بعد: فإنا قد رضينا بابي موسى الأشعري, فقال علي فإنكم قد عصيتموني في أول الأمر, فلا تعصوني الآن, إني لا أرى أن أولي ابا موسى, فقال الأشعث وزيد الحصين الطائي ومسعر بن فدكي لا نرضى إلاّ به, فإنه ما كان يحذر منه وقعنا منه, قال علي فإنه ليس لي بثقة, قد فارقني وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى آمنته بعد شهر, ولكن هذا بن عباس نوليه ذلك, قالوا ما نبالي أنت كنت أم ابن عباس,! لانريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء, ليس إلى واحد منكما بأدنى منه من الآخر[119].

وببداية هذه الهدنة ظهر من بين صفوف جيش علي من رفض الهدنة ورأى أنها مخالفة للقرآن الكريم، وقوي هذا الرأي وكسب له أنصاراً وأعلنوا في النهاية العصيان والخروج، بل كفروا الخليفة علياً رضي الله عنه، وكل من قبل الهدنة ورضي بالتحكيم، لأن هؤلاء في زعمهم خالفوا أمر الله الذي يقول : {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما. فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى أمر الله ن فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين} [الحجرات9-10] . فما دام معاوية قد رفض الصلح ودخل الناس معه في الحرب فكان ينبغي أن تمضى الحرب إلى نهايتها حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل، وقبول التحكيم تحكيم للرجال في دين الله وقد رفع هؤلاء شعار: لا حكم إلا لله بواسطة الحرب ينصر الحق ويهزم الباطل[120] وهي كلمة حق يراد بها الباطل، كما قال الخليفة على رضي الله عنه . والظاهر

---

[118] - ابن كثير – البداية والنهاية – جـ 5 ص 375-. والطبري-تاريخ الأمم والملوك- جـ 5-ص49.

[119] - الطبري – تاريخ الأمم والملوك_ جـ 5-ص51.

[120] - جلي – أحمد محمد- مصدر سابق ص 47 – 48 .

أن هؤلاء الخوارج كانوا شباباً مضطرب الرأي، ولم يكن لهم علم راسخ أو رأي ثابت في المصلحة والاصطلاح فيما بين المسلمين ودرء الفتنة عنهم. إنهم هم الذين أجبروا علياً على قبول الهدنة، وهم الذين أوقفوا الحرب من جانبهم، بينما كان علي مصمما على مواصلة الحرب حتى النصر التام . ولو أنهم سمعوا الخليفة وأطاعوه لكان النصر حليفه، ولكنهم أبوا إلاّ الشقاق والخلاف في كلا الموقفين . يقول الأستاذ محمد محي الدين عبدالحميد: "وهؤلاء هم الخوارج الذين شايعوا علياً رضي الله عنه – أول الأمر على قتال معاوية وأهل الشام حتى كان النصر منه قاب قوسين أو أدنى أظهروا الانخداع بخديعة عمرو بن العاص رضي الله عنه وحملوا علياً رضي الله عنه على قبول التحكيم، وعلى أن ينيب عنه أبا موسى الأشعري . ولم يقبلوا التريث حتى تتم لهم الغلبة على أهل الشام كما لم يقبلوا أن يختار على نائبه كما اختار معاوية نائبه، فلما أذن لهم علي وأصحاب علي وقبلوا كل ما طلبوه إليه، وتمت مهزلة التحكيم، راحوا يعلنون كفر علي وكفر كل من قبل تحكيم الرجال ولم تنجح في هؤلاء القوم حجج المحتجين ولا نصيحة الناصحين"[121] . من هنا بدأت تتكون فرقة الخوارج كفرقة لها نظامها وعقيدتها وآرائها، وقد قويت هذه الفرقة وقد حاول علي رضي الله عنهم أن يقنعهم بالحجة أولا. يقول الإمام الطبري: "وبعث علي ابن عباس إليهم فقال : لاتعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك. فخرج إليهم حتى أتاهم فأقبلوا يكلمونه فلم يصبر حتى راجعهم. وذكر المحاورة التي جرت بينهم. ثم ان عليا جاء إليهم بنفسه وحاورهم وأنه قال لهم بعد المحاورة : ادخلوا مصركم رحمكم الله ! فدخلوا من عند آخرهم"[122]. ولما لم يجد ذلك شيئاً حاربهم علي رضي الله عنه لينهي فتنتهم ولكنهم اغتالوه.

ولم يضع مقتله رضي الله عنه حداً للفتنة المستمرة، بل ازداد خطر الخوارج وصاروا يمثلون شوكة في جنب الدولة الأموية يهددون أمنها وأمن الجماعة المسلمة"[123] وقد انقسم المسلمون في تلك الخلافات التي كانت بين علي ومعاوية إلى ثلاثة أقسام، فريق يؤيد عليا رضي الله عنه، وفريق يؤيد معاوية ، وفريق أبى الخوض في تلك النزاعات واختار الابتعاد عن تلك الفتن، ولكن ظهور الخوارج كفرقة لها عقائد وأراء خاصة كان أول افتراق وقع بين المسلمين , لأن الخلاف الذي كان بين

---

[121] - عبدالحميد ، محمد محي الدين – مقدمه كتاب مقالات الإسلامية – أبو الحسن الأشعري – المكتبة العصرية صيدا بيروت – 1995م ص 12-13-

[122] - الطبري _ محمد بن جرير – تاريخ الأمم والملوك _ جـ5ص65.

[123] - جلي – أحمد محمد – مصدر سابق ص 48 .

علي ومعاوية لم يكن خلافاً عقدياً بقدر ما كان خلافاً سياسياً ، يتعلق في قيادة الأمة وسياستها . وإذا كانت الخوارج نتجت عن مسألة التحكيم فإن بذور نشأة الشيعة كانت في تلك الأيام خاصة بعد مقتل علي فإنهم كانوا يشايعون علياً وأولاده إلاّ أن فكرة التشيع تبلورت وظهرت كعقيدة بعد مقتل حسين بن علي في موقعة كربلاء . ويظهر أن الأمويين هم الذين زادوا الطين بلة ، في شتمهم عليا على المنابر وعلى رؤوس الملأ . وفي ذلك يقول الحافظ بن حجر رحمه الله: "فكان الناس طائفتين, لكن المبتدعة قليلة جداً. ثم كان من أمر علي ما كان فنجمت طائفة أخرى حاربوه, ثم اشتد الخطب فتنقصوه واتخذوا لعنه على المنابر سنة, ووافقهم الخوارج على بغضه وزادوا حتى كفروه[124]." وكانت هذه السياسة الخرقاء مما أشعل نار الفتنة بين الشيعة والناصبة ويرى كثيرمن المؤرخين والباحثين أنه كان وراء تلك الفتنة أيادي خفية خارجية، وذلك أن المسلمين قد فتحوا فتوحات عظيمة وأزالوا دولا كان لها مجد وقوة وعظمة عن الوجود كالفرس، من هنا كان كثير من أبناء تلك الدول الزائلة مازالوا يتربصون للإسلام وأهله, ويتحينون الفرصة للانتقام من المسلمين . وكان عبدالله ابن سبأ (ابن السوداء) اليهودي ممن آثار الفتنة فتنة مقتل عثمان[125]. وأنه بدأ يوسوس بين المسلمين بعقيدة الافتراق وقد اعتنق بمقولات ابن سبأ كثير من حديثي الإسلام ومن الموتورين الذين ظهر الإسلام على بلادهم فسرت بين المسلمين حتى ظهرت منها الشيعة والخوارج، يقول الدكتور ناصر العقل : "أما أول الفرق ظهوراً وافتراقاً عن المسلمين وعن جماعتهم فهي الخوارج ، والخوارج نزعة نزعت من السبئية، كما أن الشيعة نبتة من نبتات السبئية النكدة "[126]. ويقول الدكتور أحمد محمد جلي : "وقد وجد أعداء الإسلام الفرصة سانحة للانتقام من المسلمين لدولهم الزائلة ومجدهم الضائع، جدوا في إثارة الفتنة، ووجدوا في بعض ضعاف النفوس ومرضى القلوب مدخلاً وقد تولى الوزرالأكبر في هذه الفتنة عبدالله بن سبأ , الذي يذكر بأنه كان يهودياً من أهل صنعاء . أسلم في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتنقل في البلاد الإسلامية , فمر بالحجاز ثم البصرة والكوفة والشام، ولكن اكتشف أمره وأبعد من هذه الأمصار جميعاً حتى أتى مصر واستمال في هذه قلوب بعض الناقمين على الولاة . وبدأ يبث بينهم بعض العقائد المنحرفة كرجعة الأنبياء والأوصياء، وأن كل نبي كان

---

[124] - العسقلاني _ احمد بن حجر_ فتح الباري _ دار الكتب العلمية_ بيروت_ ط3-2000م-جـ9-ص89.

[125] - انظر ابن الاثير- الكامل في التاريخ-جـ3- ص46. و الطبري _ تاريخ الأمم والملوك_ جـ4_ص240-241.

[126] - العقل – ناصر عبدالكريم – الاقتران – من موقع صيد الفوائد ص 13- .

له وصي، وأن علياً وصي محمد "[127] . ويذكر الاستاذ محمد محي الدين عبدالحميد في مقدمة كتاب مقالات الإسلاميين ، أنه نبت في القرن الأول رجلان شغلا الناس بما لم يكونوا يعرفونه عن نبيهم وعن صحابته الأخيار، أحد الرجلين نصراني من أهل العراق يقال "سوسن" وهو الذي نفث في صدر معبد الجهني سمومه وعلمه القول بالقدر. والآخر رجل يهودي احترقت أحشاؤه من نصرالله تعالى للمؤمنين فاصطنع الإسلام وهو يضمر أن يكيد له. وهو عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء وتتخلص شروره في أنه أحدث في هذه الأمة ثلاثة أمور، كان لكل واحد منها الأثر البالغ في تفريق كلمتها وتشعب أمرها.

الأمر الأول : كان أول من أحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب بالإمامة ، فعلي وصي الرسول صلى الله عليه وسلم وخليفته علي أمته من بعده بالنص .

الأمر الثاني : كان هو أول من أحدث القول برجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا بعد موته وبرجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً.

الأمر الثالث : كان هو أول من أحدث القول بأن عليا رضي الله عنه لم يقتل وأنه لا يزال حياً، وأنه يسكن السحاب وأن الرعد صوته، وأن البرق سوطه، وأن فيه جزءاً إلهياً، وأنه لا بد أن ينزل إلى الأرض فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً [128]" . ولا شك أن كثير من الذين دخلوا في الإسلام كانوا يحملون عقائدهم القديمة في أفكارهم وكان لذلك تأثيراً في الإسلام، حتى الذين دخلوا الإسلام عن قناعة لا بد من أن يكون فيهم بقايا من عقائدهم وعاداتهم , وكل ذلك يمكن أن يؤثر العقيدة الإسلامية في أدمغة كيثر من المسلمين، فضلاً عن الذين يكيدون للإسلام وأهله . وقد اشتهرت الزندقة في القرون الأولى الإسلامية . وإذا كانت الخوارج والشيعة من تأثيرات ابن سبا ، وأمثاله ، فنشأت هاتان الفرقتان في ذلك الوقت فإن الأمر لم يقف على ذلك بل نتج من اعتقاداتهما وأرائهما المتشددة أراء مضادة لآرائهما كالإرجاء الذي يرى أن الإيمان هو اعتقاد فقط وهو يضاد أراء الخوارج، وكان من أثار التأثر بالأفكار الخارجية وبالفلسفة اليونانية نشأت الفرق الكلامية وأنكار القدر . وهكذا بدأ التفرق بين المسلمين إلى ملل ونحل متباينة في كثير من الاعتقادات ، يقول الدكتور أحمد محمد جلي :" ولكن لم يقف أمر الافتراق عند هذه الفرق التي رأت رأياً معينا في الإمامة بل سرعان ما تحولت تلك الأحزاب إلى مذاهب ، ذلك النزاع السياسي حول

---

[127] - جلي – أحمد محمد – دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين – مصدر سابق ص 43.

[128] - محي الدين عبدالحميد – مقدمة مقالات الإسلاميين – مصدر سابق ص 9-11.

الخلافة , ومن هو أولى بأن يكون خليفة للمسلمين وأيهما كان على حق في موقفه، علي أو معاوية رضي الله عنهما، تحول إلى خلاف فكري حول الحكم على هؤلاء والحكم على اتباعهم . وقد أثار هذه المشكلة بهذه الصورة جماعة الخوارج الذين كفروا كما سنرى كثيراً من المسلمين وأخرجوهم من دائرة الجماعة المسلمة (أي جماعتهم كما يعتقدون). ومن هنا بدأت محاولات فكرية لتجديد معنى الإيمان وأركانه أو الشروط التي ينبغي توفرها حتى يعد الشخص مؤمناً، والعلاقة بين الإيمان والإسلام حتى يعد الشخص مؤمناً، وحكم مرتكب الكبيرة ، هل هو مؤمن عاص أو كافر خارج عن الملة كما زعمت الخوارج إلى غير ذلك من الأبحاث المتعلقة بهذا الجانب العقدي. وظهر في إطار هذه الأبحاث جماعة المرجئة الذين اتخذوا رأياً في الطرف المقابل لآراء الخوارج ثم نشأت مذاهب عقائدية كلامية كالمعتزلة والأشاعرة والماتريدية تعلقت مباحثها بقاضايا العقيدة والبرهنة عليها والدفاع عنها. وظهر أيضاً أولئك المفكرين الذين أطلق عليهم "فلاسفة الإسلام" والذين تأثروا إلى حد كبير بالفلسفة اليونانية ومناهجها وحاولوا التوفيق بينها بين الإسلام يمثل هولاء الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم. ونجد أيضاً التيار الباطني الذي اتخذ من الإسلام ستاراً وعمل جهده في هدم الشريعة وتقويض أركان الدين"[129].

وكان مبعد الجهني قد أظهر بدعة القول بالقدر في سنة 64هـ تقريباً حيث أنكر القدر وأدعى أن الله لم يقدر شيئاً وإنما الأمر أنف وصار له اتباع، ثم ظهر جهم بن صفوان، وأظهر الجبر والتعطيل والتاويل والإرجاء ، ثم ظهر واصل بن عطا وعمرو بن عبيد وقد وضعا أصول المعتزلة القدرية، وكل هذه البدع كانت من أهم نتائج التأثر بالأمم الخارجية التي كانت لها أديان وفلسفات وعقائد وعادات مخالفة للإسلام. وكان لترجمة تراث الأمم الأخرى دور كبير في نشأة الفرق الإسلامية وخاصة ترجمة التراث اليوناني الفلسفي. فقد تأثر بها كثير من المسلمين " ورغم أن الأثر اليوناني قد ظهر كاشد ما يكون في فكر من يسمون بفلاسفة الإسلام كالفارابي وابن سينا وفي فكر المعتزلة إلا أنه قد أثر في مناهج الفكر بشكل عام عند بقية الفرق ، بل وعند بعض علماء أهل السنة الذين دافعوا عن علم الكلام الذي استقوه من المنهج المنطقي اليوناني، وقد تجلى ذلك في كتابات أئمة الأشاعرة[130]" . ومن الأمور الغريبة أن يصبح علم التوحيد الذي هو

---

[129] - جلي أحمد محمد – مصدر سابق ص 49-

[130] - عواجي – غالب علي – فرق معاصرة تنتسب للإسلام – دار البينة – مصر – ط3- 1997م جـ1 ص 81. نقلاً عن – مقدة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم – لطارق عبدالحكيم .

أشرف العلوم بل هو مقصود رسالة الإسلام، يطلق عند الأشاعرة علم الكلام!. والإسلام ما جاء إلاّ تعبيد الناس لله سبحانه وتعالى، وأن تكون العبادة خالصة له. وقد تأثرت بعض الفرق الإسلامية بالديانة الهندية والفارسية ، "وقد كان من أهم ما أثر به فكر الهنود في الفرق المبتدعة في الإسلام هي فكرة التناسخ فقد نشأت عدة فرق تقول بهذه الفكرة منها السبئية من الروافض، كذلك تأثرت الصوفية بالهندوكية، ومن الفرق التي تأثرت بالتناسخ النصيرية والدروز الذين يعتقدون أن مرتكبي الآثام يعودون إلى الدنيا يهوداً أو نصارى أو مسلمين سنيين"[131] . وقد كان التأثر بالمناهج الخارجية مما أبعد المسلمين عن المعين الصافي والتوحيد الخالص الذي كان قريباً لأذهان الناس فأصبحت العقيدة الإسلامية بعد أن كانت سهلت ميسرة أصبحت هذه العقيدة معقدة بعيدة عن أذهان الناس يصعب فهمها. يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله تعالى : "ولما كانت هناك جفوة أصلية بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة، وبين أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة ، وبين الحقائق الإيمانية الإسلامية , وتلك المحاولات الصغيرة المضطربة المقتولة التي تتضمنها الفلسفات والمباحث اللاهوتية البشرية ... فقد بدت الفلسفة الإسلامية –كما سميت- نشازاً كاملاً في لحن العقيدة المتناسق ، نشأ من هذه المحاولات تخليط كثير، شاب صفاء التصور الإسلامي، وصغر ساحته وأصابه بالسطحية، ذلك مع التعقيد والجفاف , والتخليط , مما جعل تلك الفلسفة الإسلامية , ومعها مباحث علم الكلام غريبة , غربة كاملة على الإسلام وطبيعته وحقيقته، ومنهجه وأسلوبه، وأنا أعلم أن هذا الكلام سيقابل بالدهشة على الأقل , سواء من كثير من المشتغلين عندنا بما يسمى "الفلسفة الإسلامية" أو من المشتغلين بالمباحث الفلسفية بصفة عامة.. ولكني أقرر وأنا على يقين جازم بأن "التصور الإسلامي لن يخلص من التشويه والانحراف والمسخ إلاّ حين نلقي عنه جملة بكل ما أطلق عليه اسم الفلسفة الإسلامية، وبكل مباحث علم الكلام ، وبكل ما ثار من الجدل بين الفرق الإسلامية المختلفة في شتى العصور أيضاً، ثم نعود إلى القرآن [132]" . على العموم بهذه التأثيرات الخارجية وبهذا الاحتكاك للأمم الأخرى التي دخلت في الإسلام سواء عن قناعة أو عن خوف ورهبة أو للكيد به اتسعت رقعت نشأة الفرق الإسلامية ، وانفتح باب الافتراق، فبدأت الرافضة تعلن عقائدها وانقسمت إلى فرق كثيرة، وظهرت المشبهة من الرافضة على يد داود الحورابي، وهشام بن

---

[131] - المصدر السابق ص 83 -

[132] - المحمود – عبدالرحمن بن صالح – موقف بن تيمية من الأشاعرة – مكتبة الرشد – الرياض – ط11995- جـ1 ص57. نقلاً – خصائص التصور الإسلامي .

الحكم وهشام الجواليقي, وهؤلاء أصول المشبهة الأوائل، وهم رافضة، ثم جاء المتكلمون من الكلابية والأشعرية والماتريدية، والمعتزلة، ثم المتصوفة والفلاسفة، فانفتح باب الافتراق على مصراعية لكل ضال ومبتدع ومتبع للهوى[133] . ولم تكن هذه الفرق والتيارات والمذاهب جميعاً وليدة ذلك الخلاف الذي دار حول الخلافة ، بل كانت هناك عوامل عديدة أثرت في ظهور هذه الفرق المختلفة والتيارات المتباينة، كما أشرنا أنفاً من بينها ترجمة التراث اليونان إلى اللغة العربية وافتتان البعض به والخوض في المشكلات العقائدية بغير المنهج الذي وضعه الشرع. هذا إضافة إلى أن الجدال مع أصحاب الديانات والمذاهب غير الإسلامية أثار كثيراً من المشكلات العقائدية لدى بعض المسلمين[134] .

وهناك أمور ينبغي التنبه لها – منها أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن بينهم خلاف في العقيدة فهم متفقون في أمور العقائد التي تلقوها عن النبي صلى الله عليه وسلم بكل وضوح وبيان وهذا بخلاف مسائل الأحكام الفرعية القابلة للاجتهاد والاختلاف[135] أما الأصول العقدية فهم كانوا متفقين عليها جميعاً – يقول الدكتور : ناصر العقل : "إنه في تاريخ الافتراق لم يحصل من الصحابة افتراق البتة، وما حصل بين الصحابة إنما هو خلافات كانت تنتهي إما بالإجماع وإما بالخضوع لرأي الجماعة والالتفاف حول الإمام ، هذا ما حصل بين الصحابة، ولم يحصل من صحابي أن كان مفترقاً عن الجماعة، وليس فيهم من قال ببدعة أو عمل محدثاً في الدين[136] . والأمور اليسيرة التي اختلفوا فيها كرؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه وغيرها لا تؤثر في هذا القاعدة العامة، لأن الخلاف كان لأسباب وقد يكون لبعض الصحابة من العلم ما ليس عند الآخر لكنهم رضي الله عنهم – إذا جاءهم الدليل خضعوا له بلا تردد[137] . والخلاف الذي وقع بين علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه كانت أسبابها سياسية تتعلق في قيادة الأمة وسياستها وحتى معاوية رضي الله عنه لم يكن في بداية الأمر يطلب تولي الخلافة وإمامة الأمة، وإنما كان يطلب قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والخلافات الفقهية أمر وارد ولا يعد افتراقاً .

الأمر الآخر أن جمهور الناس أي العامة كانوا على العقيدة الصحيحة وكان أصحاب المقالات والافتراق أقلية في الأمة، فإن الناس في القرون

---

[133] - العقل – عبدالكريم – الافتراق – مصدر سابق – ص 16 www.saaid.net- .

[134] - جلي – أحمد محمد – دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين – مصدر سابق – ص 50

[135] - المحمود – عبدالرحمن صالح – موقف بن تيمية من الأشاعرة – مصدر سابق – هـ 1 – ص 67-

[136] - العقل – ناصر عبدالكريم – الافتراق – مصدر سابق ص 13.

[137] - المحمود – مصدر سابق ص 67-

الفاضلة الثلاثة كان أكثرهم على عقيدة أهل السنة ، وإنما كثرت المقالات وافترق الناس إلى فرق شتى ما بعد القرن الثالث الهجري حيث ضعفت الدولة الإسلامية (الخلافة العباسية) وظهرت الممالك والدويلات والإمارات المختلفة، كل إمارة كانت تنتحل مذهب من مذاهب الفرق الإسلامية وكانت تحاول أن تجبر رعاياها على الأخذ بعقيدتها ، وهكذا انتشرت بعض أفكار الفرق الإسلامية التي كانت مغمورة في العصور الأولى. ويقول الدكتور العقل:"فإن أسباب التفرق اصناف فمنها اسباب خارجية كتأثير الأمم من الفرس والروم والهند واليونان ونحوهم, والديانات والنحل كاليهودية والنصرانية والصابئة والمجوسية, والديانات الهندية والفلاسفة المشركين. ومنها الأسباب الداخلية, القبليات والشعوبية والاختلافات المذمومة والهوى واتباع الشبهات والشهوات, والاعراض عن دين الله وشرعه, والجهل والغلو والعجمة والتنافس في الدنيا, والتشبه بغير المسلمين وغير الصالحين, والخصومات الجدل والمراء في الدين, والفتن والترجمة والنفاق الزندقة والتأويل ونحو ذلك[138].

[138] -العقل- دراسات في الاهواء الفرق البدع- مصدر سابق جـ1-ص291

أسباب ظهور الفرق

لقد أشرنا سابقاً كيف كانت بداية نشأة الفرق الإسلامية , والأحداث التي رافقت ذلك , ونوجز هنا أهم الأسباب التي كانت وراء تفرق الأمة, وظهور الفرق المختلفة , وهناك أسباب كثيرة كانت وراء تفرق الأمة, فلكل فرقة أسباب خاصة في نشأتها , ولكن تكون الإشارة هنا الأسباب الكبرى ومن أهم تلك الأسباب ما يأتي [139]:

1- اتباع الهوى : وهو من أشد أسباب التفرق إذ يتبع الشخص ما تهواه النفس والطبائع , ويترك شرع الله وما يأمر به من العدل والإحسان، كما قال تعالى : "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله" [الانعام 153] والله سبحانه وتعالى يأمر عباده بالاستقامة والعدل والإحسان وعدم التفرق : قال تعالى : {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى} [الآية النحل 90] واتباع الهوى من أكبر الأسباب في رد الحق والتكبر عليه والإقامة على الباطل والتشبث به كما قال تعالى : {أفرأيت من اتخذ إليه هواه وأضله الله على علم} [الجاثية 23].

2- الجهل بالدين – والجهل داء عضال وهو سبب رئيسي في افتراق الأمة – ولذلك نجد أن كل من ادعى شيئاً أو انتحل نحلة يجد عدداً كبيراً من الاتباع ، وما ذلك إلا بالجهل عن الحق ، والجهل المقصود هنا هو عدم التفقه في الدين عقيدة وشريعة. والعلم نور وهو طريق المعرفة بالله ودينه ومن علم دين الله وتمسك بذلك العلم لن يضل السبيل لأن العلم النافع هو الطريق الصحيح لحفظ الإسلام قال تعالى : "ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر لعلمه الذين يستنبطونه منهم" [النساء 83].

---

[139] - راجع كلا من – البريكان – ابراهيم بن محمد – الاختلاف في أصول الدين أسبابه وأحكامه / يو مع صيد الفوائد ص5 العقل – التفرق – ص17- وعواجي غالب علي – فرق معاصرة حـ1- ص76-.

3- الابتداع في الدين . بأن يشرع ما لم يشرعه الله لعباده أصلاً قال تعالى : "أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله " [الشورى 21]

والابتداع من أشد أسباب الافتراق ذلك أن الشخص يشرع من عند نفسه دون الرجوع إلى الكتاب والسنة ويعتقد أن ذلك هو الدين، والدين بريء منه وكم أضلت البدعة من الأمم وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من البدعة فقال : " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[140] وقال صلى الله عليه وسلم: " وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة "[141]

4- التعصب الأعمى والعصبيات بشتى أصنافها وأنواعها داء عضال يعمى الشخص عن الحق فلا يرى إلاّ ما يراه إمامه و شيخه أو مذهبه أو فرقته، سواء كانت تلك العصبية مذهبية أو عرفية أو شعوبية أو قبلية أو حزبية. وأخطر العصبيات إذا كانت تتعلق بالدين والدعوة لأنه يلبس على الناس – فترى شخصاً يقول لك اتبع مذهبي أو طريقي أو فرقتي ، ويرمي كتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم وراء ظهره .

5- التشدد والتعمق في الدين ، ويقصد به التضيق على النفس أو على الناس في الأحكام الشرعية أو المواقف تجاه الآخرين أو التعامل معهم بما لا تقتضيه قواعد الشرع ومقاصد الدين لأن الدين مبني على الأخذ بالأحكام الشرعية، مع مراعات التيسير ودفع المشقة والأخذ بالرخص في مواطنها ودر الحدود بالشبهات وإحسان الظن بالناس، والإشفاق عليهم، والتماس العذر لهم- وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته عن التشدد والتنطع فقد ثبت عنه أنه قال : "هلك المتنطعون " ثلاث مرات[142] كما ثبت عنه أنه قال " إن هذا الدين يسر ولن يشاء الدين أحد إلاّ غلبه"[143]

6- اتباع المتشابه من الكتاب، وهو ما لم يعلم معناه إلا الله، وترك الحكم الواضح المبين وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم"[144]

---

[140] - متفق عليه البخاري – فتح الباري – جـ5- 377- حديث رقم 2697- مسلم دار المعرفة جـ12/242 حديث 4467.

[141] - رواه أبو داود حديث 4607 – من حديث العرباض بن سارية – دار السلام ص 1561-.

[142] - رواه أبو داود من حديث ابن مسعود – حديث رقم 4608 دار السلام ص 1561.

[143] - رواه البحاري حديث رقم 39.

[144] - رواه أبو داود حديث رقم 4598.

7- التأويل – أي تأويل الكتاب والحديث فيما يتفق مع هوى النفس – وهو الذي به استحلت الأموال والأنفس والفروج ، وغيّر وجه الدين عن طريق التأويل الباطني والصوفي والكلامي وترى كل فرقة تعتمد على الكتاب لكنها تؤول الآيات بما يتفق مع منهجها وعقيدتها دون الرجوع إلى الآيات الأخرى التي تفسر تلك الآيات ودون الرجوع إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة وسلف هذه الأمة .

8- عدم فهم النصوص فهماً صحيحاً سليماً، حتى وإن كانت النية ربما تكون حسنة عند البعض منهم .

9- كيد أعداء الإسلام ، والذين أظهروا الإسلام قصداً لفت قوته وتقويض دولته وزرع الخلافات بين أهله، وقد فعلت تلك المعاول في الإسلام أفاعيلها. وقد كاد الإسلام وأهله جميع أهل الملل والنحل ممن قضى الإسلام بالجهاد على دولتهم كاليهود والنصارى والصابئة والمجوس وغيرهم – فهؤلاء منهم الذين بقوا على كفرهم وحقدهم على المسلمين والدين والإسلام، وآثروا النفاق والزندقة ، فكادوا للإسلام وأهله، وبثوا البدع والأهواء بين المسلمين .

10- تقديس العقل وتقديمه على النقل . وهذا مما ضعف منزلة النصوص سواء من الكتاب أو السنة. في قلوب المسلمين، فأصبح العقل أعلى منزلة من النص القرآني والسني, فبعد الناس عن مصدر الحق وعن الوحي الإلهي.

11- التأثيرات الخارجية . وذلك بتأثر المسلمين بالأفكار والفلسفات الوافدة من بلاد الكفار على المسلمين، أياً كان نوع هذه الأفكار والفلسفات, مادامت تتعلق بأمور الدين والأحكام أو العادات والأخلاق. وقد أتت هذه التأثيرات نتيجة الاحتكاك بالأمم الأخرى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذه شعيرة من أعظم شعائر الإسلام وتركه من أسباب التفرق والخلاف, فإن ترك المناصحة لولاة الأمور والأئمة وذوي الشأن في الأمة ، ووقوع المداهنة في الدين أو سلوك مسلك التشاؤم والبأس من الإصلاح كل ذلك يؤدي إلى نتيجة التفرق، فلو وجد في الأمة من يقف أمام المنحرفين والمبتدعين والمفسدين ويردهم إلى رشدهم وتساعد الدولة الإسلامية أهل الحسبة في هذا الشأن لقل التفرق واختفى أصحاب الأهواء والبدع .

12- ونتيجة الترجمة لعلوم الأمم الأخرى كاليونانية ، والهندية ، وهي ثقافات وثنية بدأت ترجمتها في أواخر عهد بني أمية في المائة الثانية من الهجرة وقد زادت حركة الترجمة في عهد المأمون العباسي. وهكذا نجد أن

هذا لتيار العارم في ترجمة كتب الأديان والفلسفات والنحل قد أسهم بشكل كبير في انتشار الأهواء والفرق البدع والمقالات الفاسدة[145].

13- العجمة وضعف اللسان العربي[146]. ومن أسباب الافتراق ضعف اللسان العربي بعد شيوع العجمة واللحن ودخول الأمم الأعجمية بالإسلام وقلة العلم . فالجهل باللغة يؤدي إلى الجهل بألفاظ الشرع وأحكامه, وإلى الفهم الخاطئ للنصوص كما أن الرطانة والكلام بلغات الأمم الأخرى يؤدي إلى انتشار عقائدها وأفكارها وعوائدها, مما كان له سوء الأثر على لأمة.

[145] - العقل – دراسات في الأهواء والفرق البدع. مصدر سابق- جـ1-ص381.
[146] - العقل – دراسات في الأهواء الفرق البدع. مصدر سابق-جـ1-ص333.

أهم الفرق الإسلامية التي ظهرت في العصور الإسلامية

لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته عن الافتراق والابتداع ، والابتداع هو أصل الافتراق – فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد[147]." وقال صلى الله عليه وسلم :" أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلاقاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[148] وهذا الحديث يشير إلى أنه سيكون اختلاف في الأمة. وهناك حديث آخر أبين منه في حدوث الافتراق في الأمة، عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو إثنين وسبعين والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة[149]". وقد حدث الافتراق في الأمة كما بينا سابقاً فما هي أهم الفرق الإسلامية المشهورة ؟ يقول الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه(المتوفى329هـ) وهو يذكر عدد أمهات الفرق الإسلامية: "اختلف المسلمون عشرة أصناف: الشيع ، والخوارج ، والمرجئة ، والمعتزلة، والجهمية، والضرارية، والحسينية ، والبكرية والعامة، وأصحاب الحديث والكلابية أصحاب عبدالله بن كلاب القطان"[150]

وهذه الفرق التي ذكرها الأشعري هي أهم الفرق الإسلامية، وقد حاول البغدادي أن يعدد العدد المذكور في الحديث السابق فبعد أن ذكر أمهات الفرق وكيف انقسمت كل فرقة إلى فرق متنوعة، يوجز مرة أخرى فيقول : "فهذه الجملة التي ذكرناها تشتمل على اثنتين وسبعين فرقة، منها عشرون روافض، وعشرون خوارج، وعشرون قدرية، وعشرون مرجئة، وثلاث نجارية، وبكرية وضرارية وجهمية وكرامية، فهذه اثنتان وسبعون فرقة"[151] وهو في الحقيقة ذكر عداً أكثر من ثلاث وسبعين .

---

[147] - رواه البخاري : من حديث عائشة – حديث رقم 2697 – مسلم 4467 دار المعرفة جـ2/242.

[148] - رواه أبو داود 4607 والترمذي 2676 وابن ماجة من حديث العرباض بن سارية .

[149] - رواه أبو داود 4596 والترمذي 2640 وابن ماجه 291 .

[150] - الأشعري- أبوالحسن علي بن اسماعيل- مقالات الإسلاميين – المكتبة العصرية- بيروت- 1995-جـ1- ص65.

[151] - البغدادي ، عبدالقاهر الفرق بين الفرق – ص- 19

أما الشهرستاني(المتوفى548هـ) فيذكر أن كبار الفرق الإسلامية أربع، وهي : القدرية، والصفاتية والخوارج والشيعة"[152]. وهو يرى أن يضبط مقالات الإسلامية وأصولهم فيرى أن هذه الفرق الأربعة تمثل الأصول التي يمكن أن يرجع إليها جميع مقالات الفرق الإسلامية.

ومن أجل وضع ضابط في حصر أصحاب المقالات يقول : "ومن المعلوم الذي لأمراء فيه أنه ليس كل من تميز عن غيره بمقالة ما، في مسألة ما، عد صاحب مقاله. وإلاّ فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعد ويكون من انفرد بمسألة في أحكام الجواهر مثلاً معدوداً في عداد أصحاب المقالات، فلا بد إذن من ضابط في مسائل هي أصول وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافاً يعتبر مقالة ويعد صاحبه صاحب مقالة ، وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط، إلاّ أنهم استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيف اتفقا وعلى الوجه الذي وجد، لا على قانون مستقر، وأصل مستمر فاجتهدت على ما تيسر من التقدير، وبقدر من التيسير حتى حصرتها في أربع قواعد هي الأصول الكبار" . ثم ذكر تحت هذه القواعد الأربع إحدى عشرة فرقة وهي الأشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة والقدرية والنجارية ، والجبرية ، والمرجئة والوعيدية، والخوارج ، والشيعة، ثم يقول بعد ذكر القواعد الأربعة وذكره تلك الفرق: "فإذا تعينت المسائل التي هي قواعد الخلاف، تبينت أقسام الفرق الإسلامية وانحصرت كبارها في أربع بعد أن تداخل بعضها في بعض , ويذكر الفرق الأربعة القدرية والصفائية والخوارج والشيعة – ثم يتركب بعضها مع بعض، ويتشعب عن كل فرقة أصناف فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة"[153] . ولا شك أن أراء الفرق تتداخل فيما بينها وخاصة أراء أصحاب الكلام.

ويقول الإمام ابن تيمية(المتوفى728هـ) : "والنجارية والضرارية، وغيرهم يقربون من جهم في مسائل القدر والإيمان مع مقاربتهم له أيضاً في نفي الصفات. والكلابية والأشعرية خير من هؤلاء في باب الصفات، فإنهم يثبتون لله الصفات الفعلية وأئمتهم يثبتون الصفات الخبرية في الجملة كما فصلت أقوالهم في غير هذا الموضع . وأما في باب القدر ومسائل الأسماء والأحكام فأقوالهم متقاربة"[154] . ويقول الشيخ محمد بن صالح

---

[152] - الشهرستاني – محمد عبدالكريم ابن أبي بكر – الملل والنحل – دار المعرفة – بيروت ط5 -1996- ص22.

[153] - الشهرستاني – محمد عبدالكريم – الملل والنحل – تحقيق أمير علي مهنا ، وعلي حسن فاعور – دار المعرفة – بيروت ط5 1996 ص20.

[154] - ابن تيمية – مجموع الفتاوى – تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت ط1- جـ3- ص 59.

العثيمين: "أكثر الذين تكلموا على هذا الحديث قالوا إنها وقعت وانتهت، وصاروا يقسمون أهل البدع إلى خمسة أصول رئيسة ، ثم هذه الخمسة الأصول يفرعون عنها فرقاً، حتى أوصلوها إلى إثنتين وسبعين فرقة، وابقوا فرقة واحدة وهي أهل السنة والجماعة. إلى أن قال : فالأولى أن نقول : إن هذه الفرق غير معلومة لنا، ولكننا نقول : بلا شك إنها فرق خرجت عن الصراط المستقيم، منها ما خرج فأبعد ومنها ما خرج خروجاً متوسطاً ومنها ما خرج خروجاً قريباً . ولا نلزم بحصرها، لأنه ربما تخرج فرق تنتسب للأمة الإسلامية غير التي عدها العلماء كما هو الواقع فقد خرجت فرق تنتسب إلى الإسلام من غير الفرق التي كانت قد عدت في عهد العلماء السابقين"[155] . ويذكر الشاطبي(المتوفى590هـ) أن بعض العلماء عد أصول كبار الفرق الإسلامية ثمانية - وهي المعتزلة ، والشيعة والخوارج، والمرجئة، والنجارية، والجبرية، والمشبهة، والناجية، ثم يذكر تفرق كل فرقة من تلك الفرق إلى فرق متعددة حتى يصبح الجميع إثنتين وأربعين فرقة ثم يقول : "وهذا التعديد بحسب ما أعطته المنة في تكليف المطابقة للحديث الصحيح لا على القطع بأنه المراد ، إذ ليس على ذلك دليل شرعي ، ولا دل العقل أيضاً على انحصار ما ذكروه في تلك العدة من غير زيادة ولا نقصان ، كما أنه لا دليل على اختصاص تلك البدع بالعقائد"[156].

وهذه الفرق التي ذكرها الأشعري والشهرستاني والشاطبي هي أهم الفرق التي ظهرت في العالم الإسلامي . وهناك الأشعرية والماتريدية لم يذكرها بعضهم ولقد ظهرت فرق أخرى متعددة، فهناك فرق الباطنية وهي كثيرة ، وكذلك هناك الطرق الصوفية ، وهي تمثل فرقاً لا شك في ذلك فلهم مبادئ وعقائد بدعيه بل وشركية. وكانت الصوفية في أول عهدها على سمة السلف في العقائد والأصول, وكانت مخالفاتها محصورة في بعض مظاهر التعبد والسلوك وأغلب ذلك منشأه الجهل, ولكن مع الزمن تجارت الأهواء بالعبّاد والصوفية حتى دخلتهم الرهبانية المبتدعة, وسلكوا مسالك الأمم الغابرة الهالكة, وتشبهوا بالنصارى والهنود حتى دخلتهم الرهبانية المبتدعة, وتعبدوا بالمحرمات : كالمساع والنظر الحرام, وبدأت فيهم الطرقية, وابتدعوا طقوس المشايخ والمربين, وظهرت فيهم الشطحات والكلمات والعبارات المريبة المخلة بالتوحيد والقدر, وكان هذا واضحا

---

[155] - العثيمين – محمد بن صالح – شرح العقيدة الواسطية – دار بن الجوزي – الدمام- ط7 1422هـ جـ1- ص370.

[156] - الشاطبي – ابراهيم بن موسى بن محمد – الاعتصام – تحقيق سليم بن عبدالهلالي – دار ابن عفان – الخبر – ط1- 1992م- جـ2- ص718- 720-.

خلال القرن الثالث. ثم تطورت الصوفية في نهاية القرن الثالث وما بعده, حتى صارت مأوى لكل مبطل وزنديق, وأوعية لكل مذهب ونحلة فأصبحت الصوفية مشاعة بين جميع اهل الأهواء والبدع حتى اشتهر فيهم الإلحاد والزندقة وأعلن بعضهم الحلول الاتحاد ووحدة الوجود[157]. وهذا لايعني أن جميع الصوفية على هذا النمط, بل قد يكون من الصوفية من هو على الصراط المستقيم, وعلى هدي السلف, قصدهم التعبد لله على بصيرة, واتباع سبل الصالحين, ولقد رأينا من ينتسب إلى التصوف وحالهم وطريقتهم على الحق يعبدون الله على بصيرة, ويتعلمون العلم الشرعي, ويعلمون الناس . وكان كثير من أئمة المسلمين ينسبون للتصوف. يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله بعد أن تحدث عن الصوفية وما وقع عن كثير من العباد وتنازع الناس في طريقهم: " والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله, كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله تعالى, ففيهم السابق المقرب حسب اجتهاده, وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين, وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ, وفيهم من يذنب فيتوب أو لايتوب. ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه, وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة, ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم[158]".

ويمكن أن تظهر فرق أخرى لم تكن معروفة من قبل وإن كانت ربما توافق بعض أصول تلك الفرق المذكورة سابقاً، فكل من اتخذ إلهه هواه وعارض الكتاب والسنة الصحيحة برأيه أو رأي إمامه وقول متبوعه حمية وعصبية، أو تأويل نصوص الكتاب والسنة بما تأباه اللغة العربية وترده أصول الشريعة الإسلامية فشذ بذلك عن الجماعة فهو من الفرق الثنتين والسبعين التي ذكر الرسول المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم : بأنها جميعاً في النار [159].

وقد لخص الدكتور ناصر العقل الفرق التي ظهرت في العصور الأسلامية في اثنتي عشرة فرقة وهم: الخوارج والشيعة والروافض, والقدرية, والجهمية, والمعتزلة, والمرجئة, والجبرية, والباطنية والزنادقة, والكلابية, والصوفية, والفلاسفة, وأهل الكلام الأشاعرة والماتريدية.[160]

---

[157] - العقل- دراسات في الأهواء والفرق والبدع- جـ1- ص184-185.

[158] - ابن تيمة- أحمد بن عبد الحليم- مجموع الفتاوى- تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا- دار الكتب العلمية- بيروت-ط1-2000م-جـ7-ص10.

[159] - الدويش – أحمد عبدالرزاق – فتاوى اللجنة الدائمة – دار العاصمة – الرياض –ط3.جـ2-ص223.

[160] - العقل – دراسات في الأهواء والفرق ولبدع- جـ1-ص138-139.

وهذه الجماعات كلها فرق مبتدعة , وكلها فرق هالكة إلاّ جماعة واحدة، وهي المتمسكة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على منهاج السلف الصالحة ، وهي الفرقة الناجية وقد بينها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : "ما أنا عليه وأصحابي"[161].

المشاكل والمصائب التي نتجت عن تفرق الأمة

إن التفرق شر ومصيبة وقد قال الله سبحانه وتعالى محذراً أمة الإسلام عن الاختلاف : "ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك" [هود 118-119]. فالمرحومون هم المجتمعون المتفقون فيما بينهم – فماذا ينتظر من أمر خلاف الرحمة لقد فعلت الفرقة بالأمة الإسلامية أفاعيلها ، فمزقت الأمة إلى طوائف ودويلات وإمارات، ضعيفة، متناحرة فيما بينها . وحينما انشقت الخوارج عن الإمام علي كانت هي السبب التي ضعفت جانبه . وأوهنت قواه، كما أن الخوارج كانوا في تاريخهم , كما نرى, طعن في خاطرة الدولة الإسلامية ، مما أضعف كثيراً الدولة الإسلامية في العهد الأموي وأوائل العهد العباسي ، فكثيراً ما كانوا يشغلون الدولة عن مواصلة الجهاد ضد أعداء الإسلام ، أضف إلى ذلك الخلافات الأخرى . سواء كانت شيعية أو غيرها , التي كانت تواجهها الدولة الإسلامية في ذلك العصر , ولما تزل الخلافات والتفرقات تنخر عظام الدولة الإسلامية ، حتى أصبحت الدولة ضعيفة، وتكونت في أقاليمها دويلات وإمارات، تعادى كل واحدة الأخرى، وتريد أن تأخذ مكان الإمارة الأخرى، وأصبح الخليفة إسماً فقط ليس له من الأمر شيء، وأصبحت العاصمة الإسلامية , بغداد , كالكرة با يدى السلاطين المتحاربين ، وليس للخليفة سوى أن يخلع اللقب على من تملك العاصمة. وكانت هناك حروب بين الشيعة والسنة في بغداد , خاصة بعد ما قوى أمر الرافضة في بغداد حينما وقعت العاصمة على أيدي البويهيين وكانوا شيعة. ويذكر ابن كثير(المتوفى774هـ) في حوادث سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة أنه كانت فيها فتنة بين الرافضة وأهل السنة قتل فيها خلق كثير[162] . والأمثلة على ذلك كثيرة ، ويبدو أن أهل البدع كانوا موجهين نحو محاربة الإسلام وأهله بدلاً من محاربة إعداء الإسلام فمنذ أن قويت شوكة أهل البدع من زمن المأمون، وأهل البدع طعنة قوية ضد الإسلام وأهله، وحينما ضعفت الخلافة الإسلامية بعد مقتل

[161] - أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر حديث قم 2641. دار السلام ص 1918.
[162] - ابن كثير – البداية وانهاية – جـ6-ص250.

الخليفة المتوكل، بدأت البدعة تتقوى، وأصبحت لها دولة وصالوا وجالوا وخاصة الشيعة الذين كانوا دائماً غصة في حلوق أهل السنة . منذ ذلك الحين نرى الجهاد ضد أعداء الإسلام ضعف . ويتجرأ على الدولة الإسلامية أعداء الملة من النصارى الرومان والمجوس وغيرهم، فنرى أن الدولة الرومانية تهاجم الدولة الإسلامية في عقر دارها، فتأخذ مدن أطراف الدولة الإسلامية كما تقتل كثيراً من المسلمين وتسبي الذراري والنساء حدث ذلك في السنة الواحدة مراراً. وعلى سبيل المثال يذكر الإمام ابن كثير في حوادث سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة أن الروام دخلوا مدينة حلب وأنهم قتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً وانتهبوا الأموال وأخذوا الأولاد والنساء، وخربوا المساجد وأحرقوها، وأهلكوا كل شيء قدروه عليه، وكل شيء لا يقدرون على حمله أحرقوه وكانوا فعلوا كذلك بعين زربه ، ثم قصدوا كذلك إلى قيسرية فلقيه أربعة آلاف من أهل طرسوس وقتل أكثرهم وكل ذلك يحدث والروافض يكتبون على أبواب المساجد لعنة معاوية وأبي بكر وعثمان. ولما بلغ ذلك معز الدولة لم ينكره ولم يغيره بل لما بلغه أن أهل السنة محوا ذلك أمر بكتب ذلك ويقول : "لا جرم أن هؤلاء لا ينصرون، وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيع وميل إلى الروافض ، لا جرم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء ، بل يديل عليهم أعداءهم لمتابعتهم أهواءهم ، وتقليدهم سادتهم , وكبرائهم وأبائهم , وتركهم أنبيائهم وعلمائهم، ولهذا لما ملك الفاطميون بلاد مصر والشام، وكان فيهم الرفض، وغيره. استحوذ الفرنج على سواحل الشام وبلاد الشام كلها، حتى بيت المقدس، ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماة ودمشق وبعض أعمالها، وجميع السواحل وغيرها مع الفرنج، والنواقيس النصرانية والطقوس الانجيلية تضرب في شواهق الحصون والقلاع، وتكفر في أماكن الإيمان من المساجد وغيرها من شريف البقاع، والناس معهم في حصر عظيم، وضيق من الدين، وأهل هذه المدن التي في أيدي المسلمين في خوف شديد في ليلهم ونهارهم من الفرنج،... وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصي والذنوب وإظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء[163] . وهكذا نرى أن الافتراق فعل بالمسلمين ما لم يفعل بها أعداؤها، ومازال الحال مستمراً هكذا ولكن الدول الإسلامية تتقوى بعض الأحيان فترد الأعداء إلى الوراء حتى حدث ما حدث في العصر الحديث حيث دخلت الدول النصرانية أراضي الإسلام عنوة واستعمروها ، وأذلوا أهلها وأقام فيها حكاماً عاملين لهم ينفذون أوامرهم ليس لهم هم سوى ملذات أنفسهم،

[163] - ابن كثير – البداية والنهاية – جـ11-ص256-257.

وكراسيهم، لا يرقبون في مؤمن إلاً ذمة بل يعز عليهم أن يروا عزة في الإسلام وأهله . وهكذا ما نراه اليوم من ضعف المسلمين وتشتتهم وتفرقهم فرقاً وأحزاباً ودويلات صغيرة كل واحدة تعادى الأخرى، وتحارب الإسلام وأهله . كل ذلك بسبب الفرق . فنسأل الله العافية, وكذلك ما نراه الآن من هجمة الصليبية على الإسلام وتكالبهم على المسلمين . وقد استحدثوا حربهم الجديد على الإسلام إسماً جديداً وسموه (الحرب على الإرهاب) فنرى الدول الغربية الصليبية تتجمع من أجل القضاء على الإسلام، فنرى الحرب على أفغانستان والعراق والصومال وغيرها، فتجتمع الدول النصرانية تحت قيادة أمريكا من أجل القضاء على المسلمين والإسلام. إن بعض السذج من المسلمين يظنون هذا الحرب أنه يشن من أجل القضاء على مجموعة من المسلمين ممن يسميه الغرب الإرهابيين أو أن أمريكا وحلفائها الصليبيين يشنون الحرب من أجل الاقتصاد . والأمر ليس كذلك بل إن الأمر أبعد من ذلك بكثير وليس الحرب إلاّ حرباً صليباً من أجل التخلص وقطع جذور الإسلام، وإلا بما يفسر من اشتراك استراليا وألمانيا وغيرها من الدول في تلك الحرب، وأي اقتصاد تحتاجه استراليا وألمانيا، وبما تحصله من أفغانستان سوى فقد الجنود والمعدات، وصرف أموال طائلة ؟.

وكان سبب احتلال أمريكا على العراق واللافتات التي رفعت آنذاك هو أن العراق يمتلك أسلحة الدمار الشاملة, وقد ثبت بطلان تلك المقولة بعد الاحتلال, حيث لم يجدوا شيئا من الأسلحة المزعومة.

وكذلك كان الهجوم على أفغانستان واسقاط دولة الطالبان من أجل أنهم آووا المجموعة الإرهابية التي كانت وراء تفجير مركز التجارة الدولي في نيويورك. ولما طلبت دولة الطالبان البينة من أمريكا لهذه الدعاوى لم يلق لكلامها بالا, وإنما كان الجواب الهجوم وإسقاط آلاف الأطنان من المتفجرات على الشعب الأعزل, واستعمال الأسلحة المحرمة دوليا وتدمير أفغانستان واحتلالها. ومن المعلوم أنه كان من ضمن مَن قتل في مركزالتجارة الدولي عدد كبير من المسلمين, كان لبعضهم تجارة في هذا المركز, وبعضهم كانوا يعملون فيه.

الفصل الثاني

بداية الخوارج

توطئة

بعدما تمت الهدنة بين الجيشين , جيش علي وجيش معاوية , وذلك بعد رفع أهل الشام المصاحف على الأسنة, ودعوا إلى الاحتكام بكتاب الله. في بداية الهدنة ظهر من بين صفوف جيش علي رضي الله عنه من يرفض هذه الهدنة, حيث يرون أنها مخالفة لكتاب الله, وانتشر هذا الرأي خاصة في القراء, وهم الذين اجبروا عليا على إيقاف الحرب وقبول التحكيم. فقوي أصحاب هذا الراي وانشقوا عن جيش الإمام علي رضي الله عنه, ولم يقفوا بهذا الحد بل كفروا الإمام علي وكل من الهدنة ورضي بالتحكيم. هكذا بدأ ظهور الخوارج. وفي هذا الفصل سيكون الحديث حول المباحث الآتية:

- تعريف الخوارج
- الأحاديث الواردة في خروج الخوارج.
- بداية نشأة الخوارج.
- عقيدة الخواج ومبادئهم.
- فرق الخوارج ومبادئ كل فرقة.
- أسباب اختلاف الخوارج فيما بينه

بداية الخوارج ونشأتها

تعريف الخوارج :

أصل الخوارج من كلمة خرج يخرج خروجاً، بمعنى برز من مقره أو حاله وانفصل، وخرج على السلطان : تمرد وثار والخوارج – جمع خارجي . وهم فرقة من الفرق الإسلامية خرجوا على الإمام علي وخالفوا رأيه. ويطلق على من خرج على الخلفاء ونحوهم .[164]

ويقول الشهرستاني : " كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في إيام الصحابة على الأئمة

[164] - المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المكتبة الإسلامية – استانبول – دت- مادة خروج .

الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان"[165].
ولكن هذا التعريف عام ولا يختص بهذه الفرقة الخاصة، والصحيح أن كلمة الخوارج أطلقت على أولئك النفر الذين خرجوا على علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم عقب معركة صفين.[166] وأصبح الخوارج الذين جاءوا بعدهم امتداداً وتطوراً لتلك الفرقة وآرائهم . من هنا كانت هذه الكلمة إذا أطلقت تقع عليهم ولا تنصرف إلى غيرهم، ولذلك يقول الإمام أبو الحسن الأشعري : "فسموا خوارج لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب "[167]. ويقول الدكتور ناصر العقل: الخوارج هم الذين يكفرون بالمعاصي, ويخرجون على أئمة المسلمين جماعتهم, ويشمل ذلك الخوارج الأولين المحكمة, ومن تفرع عنهم من الأزارقة والصفرية والنجدات, وهذه الثلاثة قد انقرضت, والإباضية وهم الباقون. كما يشمل اسم الخوارج كل من أخذ بأصولهم وسلك سبيلهم, كجماعات التكفير والهجرة ونحوهم.[168]

أسماء الخوارج

للخوارج أسماء عدة منها الخوارج, والشراة , والحرورية , والنواصب والمحكمة , والمارقة[169].
لكن اسم الخوارج هو الاسم الذي اشتهروا به وعرفوا به وقد قبل الخوارج هذا الاسم ولكنهم فسروا الخروج بأنه خروج من بيوتهم جهادا في سبيل الله وفقا لقوله تعالى:{ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله}[النساء 100]. ولكنهم ينفونه من جانب آخر وذلك إذا قصد به الخروج عن الدين أو عن الجماعة أو عن علي, لأنهم يرون أن خروجهم على علي رضي الله عنه كان مشروعا.
أما بالنسبة لاسم الشراة فهم يصفون أنفسهم به بل ويفتخرون بهذا الاسم, لأنهم يزعمون أنهم باعوا أنفسهم لله كما قال تعالى:{ ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله} البقرة [207] وقوله تعالى: {إن الله

---

[165] - الشهرستاني – الملل والنحل – مصدر – سابق جـ1- ص132-.
[166] - جلي – أحمد محمد – دراسة عن الفرق – مصدر سابق ص 51.
[167] - الأشعري- مقالات الإسلاميين- مصدر سابق-جـ1-ص64.
[168] - العقل – دراسات في الأهواء والفرق والبدع- جـ2-ص21.
[169] - ينظر لهذه الأسماء كلا من – أحمد جلي – دراسة عن الفرق – ص 51- وعواجي زعالب وفرق معاصرة- ص 91. ومقالات الإسلاميين – تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد – ص 167 . والملل والنحل – تحقيق أمير علي مهنا ص 131. والعقل- دراسات في الأهواء- جـ2-ص22. والحمد- عبد القادر بن شيبة- الأديان والفرق والمذاهب المعصرة- دار الزمان- المدينة- ط1-2002م-ص155.

اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله} [التوبة111].
أما بالنسبة للاسم الثالث- وهو الحرورية. فهو نسبة المكان الذي انحاز إليه أسلافهم لأنهم انحازوا إلى قرية (حرورا) بالقرب من الكوفة.
أما الاسم الرابع – وهو النواصب, فلمبالغتهم في نصب العداء لعلي رضي الله عنه. أما الاسم الخامس : وهو المحكمة . وذلك لرفعهم شعار (لاحكم إلا لله) والتفافهم حوله.
إما إسم المارقة فيطلق عليهم خصومهم وذلك لتنطبق عليهم الأحاديث الواردة في ذلك التي تشير أنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية .

الأحاديث الواردة في خروج الخوارج

هناك أحاديث عدة وردت في صفة الخوارج وخروجهم نذكر بعضها:
الحديث الأول : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : "بعث علي رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذهيبة، فقسمها بين الأربعة، الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي، وعيينه بن بدر الزاري، وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان، وعلقمة ابن علاثة العامري أحد بني كلاب. فغضبت قريش والأنصار, قالوا : يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا. قال : إنما أتألفهم . فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبين كث اللحية محلوق فقال : اتق الله يا محمد فقال : من يطع الله إذا عصيت؟ أيامنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني؟ فسأله رجل قتله , أحسبه خالد بن الوليد , فمنعه فلما ولى قال : إن من ضئضئي هذا , أو في عقب هذا , قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد."[170] رواه البخاري ومسلم.
الحديث الثاني : قال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فوالله لأن أخَّر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإنَّ الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم

[170] - البخاري حديث رقم 3344 = مسلم حديث رقم 2448 – دار المعرفة – جـ162/7.

فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة"[171] رواه البخاري ومسلم.
الحديث الثالث : عن أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية أسمعت النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال : لا أدري ما الحرورية، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج في هذه الأمة – ولم يقل منها – قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم – أو حناجرهم – يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم شيء"[172] رواه البخاري.
الحديث الرابع : عن يسير بن عمرو قال : "قلت سهل بن حنيف هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : في الخوارج شيئاً ؟ قال سمعته يقول – وهو أهوى بيده قبل العراق : يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية"[173]. رواه البخاري ومسلم .
الحديث الخامس : عن أبي سعيد قال : بينا النبي صلى الله عليه وسلم يقسم جاء عبدالله بن ذوي الخويصرة التميمي فقال : أعدل يا رسول الله فقال : ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قال عمر بن الخطاب : دعني أضرب عنقه ، قال : دعه فإنَّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه ولا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يدية – أوقال ثدييه مثل ثدي المرأة أو قال مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس" قال أبو سعيد : أشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته
النبي صلى الله عليه وسلم, قال: فنزلت فيه : (ومنهم من يلزمك في الصدقات)[174] رواه البخاري ومسلم .
الحديث السادس : عن أبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن بعدي من أمتي , أو سيكون بعدي من أمتي قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليفة" رواه مسلم.
هذه الأحاديث من دلائل النبوة فقد بين النبي صفة الخوارج ومتى يخرجون . وحدث كل ذلك كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[171] - البخاري حديث رقم 6930- مسلم حديث رقم 2459 دار المعرفة جـ7/169 مصدر سابق .
[172] - البخاري – حديث رقم 6931 .
[173] - البخاري حديث رقم 6934 – مسلم 2467 دار المعرفة جـ7/173.
[174] - البخاري حديث رقم 6933 مسلم حديث 2453 دار المعرفة /جـ7/114.

بداية نشأة الخوارج

هناك اختلاف بين المؤرخين في تحديد بداية نشأة الخوارج , هل كان ذلك عهد النبي صلى الله عليه وسلم أم في عهد عثمان أم في عهد علي رضي الله عنهما أم كانت بداية نشأتهم بظهور نافع بن الأزرق وخروجه عام 64هـ؟ ويناقش الباحثون هذه الأراء كالآتي:[175]

القول الأول : يرى أن أول الخوارج هو ذو الخويصرة التميمي الذي اعترض على النبي في قسمة الفيء أو اتهمه بعدم العدل، وقد بوب البخاري في صحيحه بذلك فقال: (باب من ترك قتال الخوارج للتأليف ولئلا ينفر الناس عنه)[176]. ويفهم من تبويب البخاري(المتوفى256هـ) أنه يرى أن ذا الخويصرة هو أول الخوارج وقد ذهب إلى القول بأن أول الخوارج هو ذو الخويصرة كثير من العلماء منهم ابن الجوزي(المتوفى597هـ) حيث قال : "إن أول الخوارج واقبحهم حالاً ذو الخويصرة"[177] , والشهرستاني وابن حزم , والآجرى, إلاّ أنه ينبغي التفريق بين بدأ نزعة الخروج على صورة ما، وظهور الخوارج كفرقة لها أراء وتجمع قوي.[178] وإن كان ذو الخويصرة كما تذكر, المصادر من قادة الخوارج فيما بعد.

القول الثاني : وهو أن نشأة الخوارج كانت في عهد عثمان وقد ذهب بهذا القول الإمام ابن كثير في تاريخه حيث يقول "وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً"[179].

وكذلك يرى ابن أبي العز أن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه في تلك الفتنة التي انتهت بقتله[180] ، ولا شك أن هؤلاء الذين قتلوا الخليفة عثمان كانوا خوارج وكان كثير منهم من مثيري الفتنة بين جيش علي وجيش عائشة والزبير وطلحة ولكن كان هدفهم الأول هو

---

[175] - راجع في ذلك كلاً من – عواجي غالب – فرق معاصرة – جـ1 ص94 – الذهبي أبو عبدالله – الإباضية.www.saaid.net

[176] - البخاري – فتح الباري جـ12 – ص 359- دار الكتب العلمية – بيروت ط3- 2000م.

[177] - ابن الجوزي – أبو الفرج عبدالرحمن بن علي – تلبس ابليس – تحقيق عبدالرزاق المهدي – دار المغني – الرياض –ط1-19981م صـ101

[178] - عواجي غالب بن علي – فرق معاصرة – جـ1-94.

[179] - ابن كثير – البداية والنهاية –جـ7- ص 183.

[180] - ابن أبي العز – علي بن محمد الدمشقي – شرح العقيدة – الطحاوية – مؤسسة الرسالة – بيروت ط2 – 1999.

التخلص من الخليفة وإن كانت هذه الفتنة هي البذرة الأولى لفتنة الخوارج والفتن الأخرى التي وقعت بين المسلمين , إلا أن هؤلاء لم يكونوا فرقة بالمعنى التي ظهرت الخوارج فيما بعد ولا ينطبق عليهم وصف فرقة ذات عقائد خاصة وأفكار سياسية متميزة .

القول الثالث : وهو اللورجلاني . ويرى أن طلحة والزبير كانا خرجا على علي رضي الله عنه وهو قول مردود ، فإن طلحة والزبير لا يصح وصفهما بالخوارج ، وكان هدفهما وهو القبض على قتله عثمان، ولولا فتنة مثيري الفتنة ممن قتل عثمان لما كان بين الجيشين قتال .

القول الرابع : وهو أن نشأتهم بدأت سنة 64هـ بقيادة نافع بن الازرق. ولم يقل به سوى بعض علماء الإباضية كعلي يحي معمر وأبي إسحاق الطقيسي الأباضي وغرضهم نفي وجود صلة ما بين المحكمة ومن ثار على طريقتهم وهو قول مردود لوجود تسلسل الأحداث وارتباطها من المحكمة إلى ظهور نافع ابن الأزرق[181].

القول الخامس : وهو أن نشأة الخوارج بدأت بانفصالهم عن جيش الخليفة علي رضي الله عنه وخروجهم عليه. وهذا الرأي هو الذي عليه أكثر العلماء إذ يعرّفون الخوارج حينما يعرفونهم , بأنهم هم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد التحكيم , ومن هؤلاء الإمام أبو الحسن الأشعري في مقالاته والبغدادي والملطي، وقد سار على هذا الرأي أصحاب المعاجم ودوائر المعارف، والكتاب المحدثون الذين كتبوا عن الفرق الإسلامية والمؤرخون في تاريخهم لأحداث الفتنة الكبرى.[182] ولا شك أن الخوارج كفرقة لها عقائد خاصة ورؤى سياسية خاصة ولها تكوين متميز له قوة ومنعة ما ظهر إلا بعد التحكيم ومن هنا ينبغي أن يطلق اسم الخوارج على تلك الطائفة التي خرجت عن جيش الإمام علي رضي الله عنه وحاربوا ضده في معركة النهروان وكل ما كان قبل ذلك كانت أراء فرد ية أو ثورة على الخليفة.

وكان هؤلاء الخوارج يسمون القراء وكانوا مع علي في حربه ضد معاوية ، ولما التقي الجيشان ، جيش علي وجيش معاوية في صفين، وكاد جيش معاوية أن ينكسر ، وظهر النصر لعلي وأهله ، ودبّر أهل الشام حيلة وهي رفع المصاحف على الرماح ، "ونادوا ندعوكم إلى كتاب الله تعالى" . وكان ذلك بإشارة عمرو بن العاص وهو مع معاوية، حينئذٍ ترك كثير من القراء الذين كانوا مع علي القتال , وكان ذلك تدينا منهم محتجين قوله

---

[181] - عواجي غالب بن علي – فرق معاصرة – جـ1- ص 96-

[182] - الذهبي – أبو عبدالله – مقال عن الإباضية – www.saaid.net ص-1

تعالى : { الم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم
وهم معرضون} [آل عمران 23] , وكان علي مصمماً على مواصلة القتال حتى النصر , لكن هؤلاء القراء أجبروه على قبول التحكيم[183] كما بينا سابقاً .
ولما أجاب علي ومن معه التحكيم وقبلوه أنكرت ذلك تلك الطائفة –القراء- الذين صاروا فيما بعد خوارج [184]. وقبل أن يجيئ موعد التحكيم جاء بعض الخوارج إلى علي طالبين منه الرجوع عن التحكيم والعودة إلى القتال بعد أن يعلن توبته عن خطيئته فلم يجبهم إلى ذلك مؤكداً أنه لا يخلف الميعاد وإنه إنما يستجيب إلى أمر الله الذي يقول : {وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً} [النحل 91] .
وحينما اتفق الفريقان على عقد التحكيم في مكان بين الشام والعراق، رجع أهل الشام إلى الشام، ورجع الإمام علي إلى الكوفة. وكان القراء قد أجبروا علياً أن يرسل أبا موسى الأشعري إلى التحكيم نيابة عنه بينما كان علي يحب أن يرسل عبدالله بن عباس . ولما أرسل علي أبا موسى ضاق الخوارج بهذا وقرروا الانفصال عن علي وتكوين إمارة مستقلة لهم وتعيين أمير عليهم.[185] ففقارقوا الإمام وهم ثمانية آلاف أو أكثر ونزلوا مكاناً يقال له حروراء قرب الكوفة، وكان كبيرهم عبدالله بن الكواء وشبث التميمي , فأرسل علي إليهم ابن عباس فناظرهم فرجع كثير منهم معه. ثم خرج إليهم علي فأطاعوه ودخلوا معه الكوفة ومعهم رئيساهم المذكوران ، ثم أشاعوا أن علياً تاب من الحكومة ولذلك رجعوا معه، فبلغ ذلك علياً فخطب وأنكر ذلك فتنادوا من جوانب المسجد : لا حكم إلاّ لله ، فقال علي : كلمة حق يراد بها باطل[186]، وحينئذٍ خرجوا من الكوفة واجتمعوا بالمدائن ولقد حاول الخليفة علي رضي الله عنه اقناعهم بالحجة وبذل لهم النصح لكنهم رفضوا الرجوع وأصروا على الامتناع حتى يشهد على نفسه بالكفر بسبب قبوله التحكيم ورضاه. وكان أول أمير لهم عبدالله بن وهب الراسبي فبايعوه في العاشر من شهر شوال عام 37 ونزلوا بالنهروان. ويشير البغدادي أنهم عيّنوا أميرين عليهم, أحدهم عبدالله بن وهب الراسبي , والآخر حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية[187] . وبعد ما وقع التحكيم ولم يحسم

---

[183] - الطبري – محمد بن جرير _ تاريخ الأمم والملوك _ جـ5 – ص 77. وابن الأثير_ الكامل في التاريخ- جـ3-193.
[184] - العسقلاني – أحمد بن حجر – فتح الباري – جـ12- ص351.
[185] - العسقلاني –ابن حجر- فتح الباري – جـ12- ص 352.
[186] - البغدادي – عبدالقاهر بن طاهر – الفرق بين الفرق – ص 50.
[187] - العسقلاني – ابن حجر – فتح الباري = جـ12- ص 352.

النزاع بدأ علي يستعد لغزو الشام . ولكن الخوارج بدأوا استباحة دماء المسلمين ووردت الأنباء إفساد الخوارج في الأرض ، وكانوا اجتمعوا أن من لا يعتقد معتقدهم يكفر ويباح دمه وماله وأهله. وانتقلوا إلى الفعل فاستعرضوا الناس فقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين، ومر بهم عبدالله بن خباب ، وكان والياً لعلي على بعض تلك البلاد، ومعه سريته وهي حامل فقتلوه وبقروا بطن سريته عن ولد. وهذا يدل على جهلهم وبعد أفكارهم عن الطريق المستقيم وأنهم كانوا متبعين لهواء هم . ولما بلغ ذلك علياً خرج إليهم في الجيش الذي كان هيأه للخروج إلى الشام ، فأوقع بهم بالنهروان[188]. وكان علي قد طلب منهم قبل بداية المعركة تسليم قتلة عبدالله بن خاب للقصاص منهم لكنهم لم يقبلوا ذلك الطلب منه بل قالوا كلنا قتلناه . وحينئذٍ تبين لعلي إنهم الفئة التي أشار إليها الرسول بأحاديثه[189] – فوقعت المعركة وكانت الهزيمة ولم ينج منهم إلا نفر قليل دون العشرة كما تشير بعض الروايات. وقد شكك نتيجة تلك المعركة الدكتور غالب بن علي عواجي حيث يقول : "فإن التكلف في هذه النتيجة ظاهر بخصوص العدد كما أنه ترده تلك الأحداث المتلاحقة التي أعقب معركة النهروان من تتابع حركة الخوارج الثورية على علي رضي الله عنه إلى أن اشتشهد لتبدأ أقوى مما كانت على الدولة الأموية [190]" ونتيجة المعركة ليست مما يتعجب بها فإن من قرأ التاريخ في ذلك الزمان سيرى أمثال ذلك كثيراً وأغرب، بل إن الخوارج في ثورتهم ضد الدولة الأموية قد فعلوا بجيوش كثيرة للدولة أمثال ذلك وأغرب منها.

ولم تكن معركة النهروان نهاية للخوارج وإن كانت أضعفت قوتهم، إلا أنهم بدؤوا الدعوة في الخفاء وإذكاء الجمرة تحت الرماد، وبدءوا التخطيط لاغتيال قادة معركة صفين وهم الخليفة علي ومعاوية وعمرو ابن العاص رضي الله عنهم، وقد نجحوا في اغتيال علي رضي الله عنه بينما نجا الباقون بأعجوبة، ثم لما وقع الصلح بين الحسن ومعاوية ثارت منهم طائفة فأوقع بهم عسكر الشام بمكان يقال له النجيلة ثم كانوا منقمعين في إمارة زياد وابنه عبيد الله على العراق طوال مدة معاوية وولده يزيد . وظفر زياد وابنه منهم بجماعة فأبادهم بين قتل وحبس طويل، فلما مات يزيد وقع الافتراق وولي الخلافة عبدالله بن الزبير وأطاعه الأمصار إلاّ بعض أهل الشام, وثار مروان فادعى الخلافة وغلب على جميع الشام إلى مصر فظهر الخوارج حينئذٍ بالعراق مع نافع بن الأزرق، وباليمامة مع نجدة بن

---

[188] - البغدادي – عبدالقاهر بن طاهر – الفرق بين الفرق – ص 50.

[189] - جلي – أحمد محمد – دراسة عن الفرق – ص60

[190] - عواجي – غالب بن علي – فرق معاصرة – ط- ص 99-.

عامر"[191] وكان الخوارج هم الذين أضعفوا قوة دولة عبدالله بن الزبير، فقد أخذوا جهداً كثيراً ووقتا غير يسير من مصعب بن الزبير الذي حاربهم ، وكان ذلك مما أضعف قوته وجرأ عبدالملك بن مروان على مهاجمته . ولما وطد عبدالملك بن مروان أركان الحكم لدولته، استجدت الخوارج ثورتهم مرة أخرى على الدولة الأموية، وكان القتال مستمراً بين وإلي العراق الحجاج بن يوسف وبين الخوارج. ولّى الحجاج قتال الخوارج المهلب بن أبي صقرة لأنه كان أعرف الناس بقتالهم , ولم يزل يناجزهم ويقاتلهم ويتعقب وراءهم حتى ظفر بهم وتقلل جمعهم، وهكذا استمر الخوارج شوكة في جنب الدولة الأموية يجهدون ويجاهدون في سبيل إسقاطها، وتقويض أركانها، واستطاعوا في بعض الأحيان أن يبسطوا نفوذهم على أرض فارس والعراق وبعض مناطق اليمن والجزيرة . وقابلهم الأمويون عنفاً بعنفهم وحاولوا سحقهم بكل قوة وشدة حتى انكسرت شوكتهم[192]. خاصة في زمن الحجاج كما ذكرنا آنفاً ، حيث أصبح الخوارج آنذاك هاجساً يؤرق الدولة الأموية ، وكان الحجاج بن يوسف والىّ العراق يرسل الجيوش متتابعة ، جيشاً إثر جيش . وكان الخوارج أشد الناس بأساً في الحرب حتى اضطر الحجاج بن يوسف بعض الأحيان إلى أن يقود الجيوش بنفسه.[193] ومع أن الدولة الأموية سحقت الخوارج وقللت جمعهم وكسرت شوكتهم إلا أن الخوارج قاموا بثورات عدة ضد الدولة العباسية. وخاصة في صدرها فقد خرجت طائفة من الأباضية في عُمان عام 134هـ بقيادة الجلندي فأرسل السفاح إليهم خازم بن خزيمة فقاتلهم وكسرهم واستحوذ ما هنالك وقتل أميرهم الجلندي وأنصاره نحو من عشرة آلاف شخص[194]. كما قتل المبلد الخارجي في عهد المنصور عام 138هـ على يدي خازم بن خزيمة . وفي المغرب الإسلامي تونس وما حولها قاد الخوارج بقيادة ابي حاتم الأباضي حرباً ضد جيوش العباسيين دامت خمسة عشرة سنة وقتل فيها خلال375 موقعة ما يربوا على الثلاثين ألفاً . وفي عهد المهدي خرج يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم بخراسان وذلك في عام 160هـ كما خرج يس التميمي بالموصل واستولى على ديار ربيعة والجزيرة. وفي عهد الرشيد خرج الصحصح بالجزيرة وغلب علي ديار بكر كما شهد عهده أيضاً ثورة الوليد بن طريف بالجزيرة . وكانت من

---

[191] - العسقلاني – أحمد بن حجر – فتح الباري – جـ12 – ص 352.
[192] - جلي – أحمد محمد – دراسة عن الفرق – ص 60 – 61.
[193] - انظر – ابن كثير – البداية والنهاية – جـ9 – ص 19.
[194] - ابن كثير جـ1- - ص59.

أعنف ثورات الخوارج التي شهدها العصر العباسي[195] . وهكذا نجد الخوارج تخبوا ثورتهم ثم تقوم بثورة أخرى، وقد تفرقت الخوارج إلى فرق عدة كما سنذكر لاحقاً، لكن لم يبق من فرقهم المعروفة الآن إلا فرقة الإباضية التي تتخذ مقراً ومركزاً في سلطنة عمان.

[195] - جلي أحمد محمد صـ61

عقيدة الخوارج

كان خروج الخوارج في بداية الأمر لكونهم غضبوا على علي رضي الله عنه في مسألة التحكيم، حيث يرون إنه لا حكم لأحد إلا الله، ولم تكن لهم عقيدة ومبادئ مقرره وإنما رفعوا شعار لا حكم إلا الله والتفوا حوله، وقد كفروا علياً لقبوله التحكيم وقد تطورت هذه العقيدة عقيدة التكفير عندهم فلم تقتصر على علي رضي الله عنه، وإنما بدأوا يكفرون كل من خالفهم، واستباحوا دماءهم، وقد تكونت لهم آراء أو عقيدة حول المشكلات التي أثاروها وتتعلق عقيدتهم بالإمامة، وحكم مرتكب الكبيرة وهذه هي المبادئ التي تجمع الخوارج . يقول البغدادي: "وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها ، فذكر الكعبي في مقالاته أن الذي يجمع الخوارج إكفار علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضي بتحكيم الحكمين والإكفار بارتكاب الذنوب ووجوب الخروج على الإمام الجائر، وقال شيخنا أبو الحسن : الذي يجمعهم إكفار علي ، وعثمان ، وأصحاب الجمل، والحكمين ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما، والخروج علي السطان الجائر ، ولم يرض ما حكاه الكعبي من إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب ، والصواب ما حكاه شيخنا أبو الحسن عنهم"[196] . فالمبادئ التي انطلق الخوارج منها في بداية أمرهم واجتمعوا عليها هما مبدآن .

الأول : - الإمامة – إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش فيختار الشعب من يرونه أنه أهل لهذا المنصب، ويشترط لمن يلي هذا الأمر أن يكون عدلاً وأن يقيم الشرع ويبتعد عن الزيغ والخطأ والزلل وأن يستمر في وظيفته من اتصف بهذه الصفات، فإن حاد عن الطريق وغير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله، ومن هنا فضلوا أن يكون الخليفة غير قرشي ليسهل عزله أو قتله إن خالف الشرع أو حاد عن الحق[197] . ومنهم من يرى أنه لا حاجة إلى إمام إذا أمكن للناس أن يتناصفوا فيما بينهم، يقول الشهرستاني : "وهم أشد الناس قولاً بالقياس، وجوزوا أن لا يكون في العالم إمام أصلاً . وإن أحتيج إليه فيجوز أن يكون عبداً أو حراً، أو نبطياً أو قرشياً"[198] ومادام لا يقصرون الإمامة بقريش فهم كذلك لا يقصرون الخلافة على آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم". وتطبيقاً لتلك القاعدة اختاروا عبدالله بن وهب الراسبي وهو غير قريشي واعتبروه

---

[196] - البغدادي – الفرق بين الفرق – ص 50 .

[197] - انظر – جلي – أحمد محمد – دراسة عن الفرق – ص 62-

[198] - الشهرستاني – الملل والنحل – جـ1 – ص 134.

خليفة، ولكن نلتفت النظر إلى أن هناك زللاً في تطبيقهم لهذا المبدأ حيث لم يرضوا أن يلي أمرهم غير عربي، وذلك حينما بايع النجدات بعد خلعهم لنجدة – ثابت الثمار وهو غير عربي ، قالوا لا يقوم بأمرنا إلاّ رجل من العرب، واختاروا بدلاً منه أميراً لهم عربياً، وشاركهم ثابت نفسه في الاختيار[199].

ومن هنا نفهم أن القوم كانوا متخبطين في عقائدهم وآرائهم وما ذلك إلا لجهلهم وقلة علمهم وأعجابهم برأيهم وعدم رجوعهم إلى أهل العلم كما أنه لم يكن لهم أصول معينة يعتمدون عليها ويرجعون إليها عندما يحصل لهم إشكال.

الثاني – حكم مرتكب الكبيرة :

ويرى الخوارج أن مرتكب الكبيرة كافر يقول الأشعري : "وأجمعوا أن كل كبيرة كفر إلاّ النجدات فإنها لا تقول ذلك . واجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلاّ النجدات . أصحاب نجدة[200]". وكان بداية هذا المبدأ في تخطئة الخليفتين عثمان وعلي رضي الله عنهما وكذلك سوء فهم للقرآن الكريم فتطور هذا المبدأ حتى حكموا بكفر علي وعثمان وإن كانوا يقرون إسلامهم في السنوات الأولى من خلافة عثمان ، وما قبل التحكيم في خلافة علي ثم اشتد غلوهم حتى كفّروا جميع الأمة إلاّ من وافق رأيهم. يقول البغدادي : "وكان دينهم إكفار علي ، وعثمان ، وأصحاب الجمل، ومعاوية ، وأصحابه والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وإكفار كل ذي ذنب ومعصية[201]" وكان رأيهم هذا مبنياً على قولهم إن العمل بأوامر الدين والانتهاء عن ما نهى عنه جزء من الإيمان، فمن عطل الأوامر وارتكب النواهي لا يكون مؤمناً، بل كافراً إذ الإيمان لا يتجزء ولا يتبعض . ولم يقف الخوارج عند هذا الحد بل اعتبروا الخطأ في الرأي ذنباً واتخذوا هذا مبدأ للتبرئ والولاية ، فمن ارتكب خطأ تبروا منه وعدوه كافراً ومن اتبع رأيهم وسلم من الذنوب في ظنهم تولوه،[202] . وهذا التولي خاص فيمن سبق منهم من المسلمين وإلا فقد تطورت عقيدتهم فيما بعد فرأو جميع الأمة كفاراً إلا من كان على رأيهم واعتقادهم . وهذا ما حملهم على سفك دماء المسلمين واستحلال محارمهم وأخذ أموالهم، وهكذا كان

---

[199] - جلي – أحمد محمد – دراسة عن الفرق – ص 63-.

[200] - الأشعري – أبو الحسن – مقالات الإسلاميين – صـ1- 168.

[201] - البغدادي – عبدالقاهر – الفرق بين الفرق – ص 54.

[202] - جلي – أحمد محمد – دراسة عن الفرق ص – 63 .

غالبية الخوارج ، يرون أن مخالفيهم كفار حلال الدم وأن دار مخالفيهم دار كفر .
لكن هناك من يري أن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة ، وهم الإباضية. ويعنون ذلك أن دارهم دار توحيد لأنهم يؤمنون بالله وبالقرآن وليس كفرهم كفر ملة. يقول ابن إباض: " فالقوم براء من الشرك ولكنهم كفار بالنعم لتمسكهم بالكتاب واقرارهم بالرسول ولذلك فالإقامة فيهم حل طلق[203]" .
والخوارج تفرقوا إلى فرق عدة ، وكل فرقة تفرقت إلى فرق كثيرة ولذلك يوجد فيهم اختلاف في الآراء في بعض الأمور. يقول الدكتور غالب عواجي : "وينبغي أن يعلم أن كل فرقة لا بد منها من غلاة يخرجون على جمهورهم، إلاّ أن السمة الغالبية على الخوارج الشدة على المخالفين لهم، وقد تعود هذه الشدة، إلى ما يراه الخوارج من وجهة نظرهم من خروج مخالفيهم عن النهج الإسلامي وبعدهم عنه ، وبالتالي الرغبة في إرجاع الأمة إلى ما كانت عليه في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما يدعى الخوارج"[204].
ولا شك أن الخوارج كانوا يؤمنون بالله وبالقرآن وبالنبي صلى الله عليه وسلم وإنما كانت هذه المبادئ التي ذكرناها شعارهم الذي رفعوه أيام الخليفة علي، وكانوا حسب ظنهم يريدون الإصلاح، ولكنهم ارتكبوا عظائم وفظائع أكبر وأقبح وأشد مما كانوا يريدون إصلاحه وما ذلك إلا بسبب الجهل والإعجاب برأيهم، ولم يقتصر الخوارج بهذين المبدئين الذين ذكرناهما وإنما تطورت عقائدهم فيما بعد، بعد أن تفرقوا إلى فرق شتى مختلفة الآراء ولكن الذي يجمعهم هو ما ذكرناه . وقد ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري شيئاً من عقائد الخوارج – فذكر أن الخوارج يقولون في التوحيد كقول المعتزلة وإنهم يقولون بخلق القرآن جميعهم ، وهناك من الخوارج من يقول في القدر بقول المعتزلة ويرى جميع الخوارج ، اعتراض الناس بالسيف إلا الإباضية فإنهم لا يرون ذلك ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور. والخوارج يثبتون إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما ذكرنا سابقاً وينكرون إمامة عثمان رضي الله عنه في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي رضي الله عنه قبل التحكيم[205].

---

[203] - الحمد – عبد القادر بن شيبة. الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة. دار الزمان . المدينة . ط1-2002م- ص 188.
[204] - عواجي – غالب بن علي – فرق معاصرة – جـ1 – ص 154.
[205] -الأشعري- أبو الحسن – مصدر سابق جـ1 – ص204

وللخوارج في الأطفال أقاويل مختلفة[206].

1- منهم من اعتبرهم في حكم آبائهم المخالفين فاستباح قتلهم. باعتبار أنهم مشركون لا عصمة لدمائهم ولا لدماء آبائهم .

2- ومنهم من جعلهم من أهل الجنة ولم يجوز قتلهم .

3- واعتبر بعضهم خدماً لأهل الجنة .

4- ومنهم من يتوقف فيهم إلى أن يبلغوا من التكليف ويتبين حالهم، ومنهم من يلحق أطفال المشركين بأطفال المؤمنين.

5- والإباضية تولوا أطفال المسلمين وتوقفوا في أطفال المشركين.

وللخوارج في اجتهاد الرأي ، رأيان :

1- رأي يجيز الاجتهاد في الأحكام وذلك رأي النجدات وغيرهم.

2- وهناك من ينكر ذلك ولا يقول إلا بظاهر القرآن،[207] وهذه الأقوال التي حكاها عنهم الإمام أبو الحسن الأشعري تدل على أن آراء الخوارج قد تطورت وبدؤوا يتحدثون عن ميادين مختلفة سواء في الأصول أو في الفروع.

وللدكتور ناصر لعقل تلخيص جيد في أصول الخوارج الأولين ومنهجهم وسماتهم العامة, وهي كالآتي[208]:

1.التكفير بالمعاصي . الكبائر. والحاق أهلها . المسلمين بالكفار.

2.الخروج على أئمة المسلمين اعتقاداً وعملا غالبا.

3.الخروج على جماعة المسلمين ومعاملتهم معاملة الكفار في الدار والأحكام, والبراءة منهم وامتحانهم واستحلال دمائهم.

4.صرف نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى منازعة الإئمة الخروج عليهم وقتال المخالفين.

5.كثرة القراء الجهلة فيهم والأعراب.

6.ظهور سيماء الصالحين عليهم وكثرة العبادة كالصلاة والصيام, ويكثر فيهم الورع والزهد والصدق , على غير فقه, مع التشدد والتنطع في الدين.

7.ضعف التفقه في الدين وقلة الحصلية من العلم الشرعي.

8.الغرور والتعالم والتعالى على العلماء. حتى زعموا أنهم أعلم من علي وابن عباس وسائر الصحابة, والتفوا حول الأحداث الصغار والجهلة قليلي العلم من رؤوسهم.

---

[206] -عواجي – غالب- مصدر سابق- جـ1 – ص154.

[207] - الأشعري – مقالات الإسلامية – جـ ص 206.

[208] - العقل – دراسات في الأهواء والفرق والبدع- جـ2- ص28-30.

9. الخلل في منهج الاستدلال. حيث أخذوا آيات الوعيد وتركوا آيات الوعد, واستدلوا بالآيات الواردة في الكفار وجعلوها في المخالفين لهم من المسلمين.
10. الجهل بالسنة واقتصارهم على الاستدلال بالقرآن غالباً.
11. سرعة التقلب واختلال الرأي وتغييره. لذلك يكثر تنازعهم وافتراقهم فيما بينهم, وإذا اختلفوا تفاصلوا وتقاتلوا.
12. التعجل في اطلاق الأحكام والمواقف من المخالفين.
13. الحكم على القلوب واتهامها, ومنه الحكم باللوازم والظنون.
14. القوة والخشونة, والجلد والجفاء والغلظة في الأحكام والتعامل والقتال والجدل.
15. قصر النظر, وضيق العطن وقلة الصبر واستعجال النتائج.
16. يقتلون أهل الإسلام ويدعون اهل الأوثان.